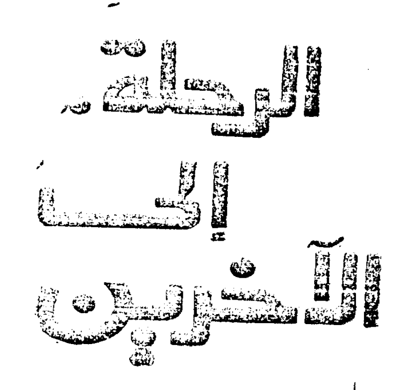


محمود أمين العالم

اعرف انهـا مجرد تاملات متناثرة ..

بل قد لا يرقى بعضها الى مســتوى التامل ، قد تكون مجرد شوق الى حقيقة ، الى حرية ، الى محبة ، الى ابداع مجــرد تطلع الى انسانية الانسان ..

على انها بعض خطواتى فى الطريق نحو الانسان ، ومن اجله ... فى بلادنا ، فى امتنا العربية ، فى كل مكان .... بكل الاعتزاز ، والثقــة ، والتفاؤل .

محمود امين العالم

الرحلة الى ٠٠ الآخرين

لا اذكر الآن اسم هـــذا الاديب الانجليزى ، ولكنى لا انسى ابدا له هـــــذه الحكمة البسيطة الملهمة .

كان يعد حقائبه لرحلة طويلة ، عنـــدما زاره احد الاصدقاء وسأله :

ـــ الى اين ايها الصديق ؟
فأجاب الاديب فى هدوء وثقة : الى لندن .

فقال له الصديق متعجبا : ولكنك فى لندن ، كيف ترحل اليها وانت فيها !؟

فأجابه الاديب : تراني اغادر لندن كى اكون فيها بحق .

اراد الاديب الانجليزى ان يقول لنا : ان طول اقامته فى لندن ،قدافقده ـــ بالالفة ـــ نضـــــارة

الاحساس بها . وانه يغادر لندن كي يعود اليها اكثر قدرة على المعرفة ، واكثر نضارة في الاحساس .

وهذا حق ..

فنحن لن نعرف حقيقة الاشياء بطول التصاقنا بها .. ولن نعرف حقيقة انفسنا بطول استغراقنا فيها ، واستغلاقنا عليها .

وسبيلنا الوحيد للرحلةداخل الاشياء ، وداخل انفسنا ، هي الرحلة الى الخارج ... خارج الاشياء ، وخارج النفس .. بالنظرة الشاملة والتأمل المقارن ، والخبرة المتحركة ، نحسن ادراك الاسرار والدقائق الدفينة .

والسفر .. رحلة .. تتحرك بها من افقك وعالمك المحدود الى آفاق وعوالم وخبرات افسح واشمل . وتعود منها الى موقعك اكثر قدرة على الرؤية والاحساس والعمل .

ولكن السفر .. رحلة بسيطة على أهميتها . انها رحلة جغرافية ، رحلة عرفانية ، رحلة الى سطح الاشياء والتجارب والمعالم الخارجية للحقيقة .

على أن هناك رحلة اخرى اشد عمقا ، وابعد اثرا ، واكثر فاعلية .

انها الرحلة الى الآخرين .. الرحلة الى الناس الى حيواتهم ومشكلاتهم ، انها ليست رحلة سياحية ، خارجية ، وليست رحلة تأمل من مقربة أو مبعدة ، وانما هى رحلة تتشابك فيها مع الآخرين بالفعل والانفعال . تعبر الجسور اليهم ، تنصت الى ايقاع عواطفهم ، تعايش همومهم . تحمل على كتفك بعض ما يحملون ، ويتفتح قلبك وعقلك وجسدك كله لمباهجهم واحزانهم ومشكلات حياتهم .

ينفتح وجودك على الآخرين وللآخرين . ينفتح وجودك على الناس وللناس .. هذه الرحلة هى سبيلك ، لا لمعرفة الآخرين فحسب ، بل هى سبيلك الوحيد لمعرفة نفسك ولتجديدها كذلك .
وقديما قال الفيلسوف الرومانى : الفضيلة هى فن اسعاد الذات بالعمل على اسعاد الغير .
وحديثا تقول الحكمة النابعة من حياة الثوار جميعا : انك لن تستطيع أن تغير ذاتك وأن تجددها الا بالعمل على تغيير الحياة وتجديدها فى مجتمعك وفى عصرك .

هذا هو عصر معرفة الانسان بنفسه ، بالعمل على تجديد الحياة الانسانية كلها .. هذا هو عصر انطلاق الانسانية جمعاء من مرحلة الطفولة

التاريخية ، الىمرحلةالنضج التاريخي الشامل .
مادام الانسان الطفل ملتصقا بثدى أمه ، مقفلا داخل غرائز ذاته المعتمة ، تظل أمومة أمه ، وتظل ذاته الانسانية حقيقة غامضة لا يعى أسرارها .

ان طفولته سياج يحد من معرفته بنفسه .

وعندما يغادر الانسان طفولته مرتحلا عن ثدى أمه ، مرتحلا عن ذاته المقفلة ، يبدأ شبابه ، وتبدأ رجولته ، وتبدأ كذلك معرفته بأمومة أمه وبحقيقة ذاته الانسانية ، وتبدأ شخصيته فى التكامل الحق .

الغربة الحقيقية عن النفس هي الالتصاق بالنفس عن الناس .
والوجود الحقيقى للنفس هو الرحلة الى الناس ، والحياة بهم ولهم .

ذات يوم — اذكر — رحت ابحث عن سر النفس فى أعماق نفسى ، فما خرجت من رحلة البحث الشاق الا بحفنة من أبيات شعرية تائهة .

وما احسست ببهجة الرحلة الحقيقية الى سر هذه الاعماق الا يوم بدات رحلة البحث والعمل والمحبة الى نفوس الآخرين ، الى حياتهم .

هل اقترب حقا من السر ؟!
هل أبلغه ذات يوم ؟!

قصاري عمري أن أعيش بهجة الرحلة الشاقة اليه .. أما الاقتراب .. أما البلوغ ، فليس لي وحدى ، وانما هو للناس جميعا ، وبالناس جميعا بالطاقات الخيرة العاملة ، وعيا شاملا ، وعلما ميسرا ، وحياة منطلقة سعيدة .

وأعود الى أديبنا الانجليزى

عندما قال انه يريد أن يغادر لندن ليكون فيها بحق ، كان يبطن وراء هذه الحكمة البسيطة انه يريد أن يخرج من حدود اهتماماته المألوفة ليتعرف على ما وراءها من حقائق غير مألوفة .

وقد تكون رحلته خارج لندن سبيله الى ذلك .
ولكن قد أزعم أنه كان من الممكن أن يحقق هذا ، وهو فى لندن نفسها ، لا فى لندن نفسه .

لو غادر أديبنا لندن بحق ، لو لم يبصر لندن من نافذته ، من عواطفه ، من اهتماماته ومصالحه الخاصة ، بل أبصر لندن فى حركة الحياة من حوله ، فى مشكلات الناس من حوله . ولو لم

يقف جهده على ان يبصر فحسب ، بل شـــارك وتشابك وعمل .

ان سبيلنا للمعــــرفة بالنفس وبالآخرين ، وبالحقيقة عامة ، هو العمل والبذل . هذا هـــو سبيلنا للمعرفة ، سبيلنا لتجديد النفس وتجديد الحياة من حولنا الى غير حد .

الاخبار : ١٤ اكتوبر سنة ١٩٦٨

الجديد فى العام الجديد

غدا يوم جديد ، من عام جديد . ماأكثر مانتمنى فيه لأنفسنا ولبلادنا ولعروبتنا ، وللعالم أجمع ، من تحرر ووحدة وتقدم ورخاء وسلام .

ولكن .. لماذا نعد « غدا » يوما جـديدا ؟! ألسنا نواجه كل يوم ، يوما جديدا ؟ هل المسألة مسألة تقويم سنوى اتفقنا فيه على ترتيب معين للزمن ؟

أم المسألة مسألة اضـــافة عددية الى الايام والاعوام ، مجرد اضافة عددية ، ننتقل بها من عام الى عام ؟ لا بالطبع .. المسألة اعمق من هذا بكثير ، فما اكثر ما كنا — وما زال الكثير منا — نواجه الجديد من ايامنا ، مواجهتنا لمجهول غامض ملئ بالاسرار والمخاوف ، ما كنا نخشاه ونرهبه ونفتقد فيه الامن والطمأنينة .

وما اكثر ما كنا — وما زال الكثير منا — نتحدث عن « أيام زمان » أيام العـز والامان ، وما أكثر ما تتحدث الآداب الشعبية — لشعوب العـالم جميعا — عن العصر الذهبي للانسانية ، وهـو عندها دائما الماضي البعيد القديم ،وليس المستقبل قريبا كان أو بعيدا .

وما أكثر ماتغني الشعراء والفنانون بالعودة الى الماضي ، الى البدائية ، الى طفولة البشرية ، الى براءتها وبكارتها الاولى .

وما اكثر ما يواجه الناس الغد والجديد ، على حذر واشفاق ، فيقترعون عنه الطالع ، أو يتأملونه في حركة الافلاك ، أو يطلقون من أجله البخور ، أو ينذرون له النذور ، أو يكتبون له الاحجبة ،أو يتطيرون منه أو يستبشرون به .

ما اكثر ما يحس الناس بهذا الجديد ، شيئا مفروضا عليهم ، مفاجئا لهم ، يحسون به قدرا أعمى ، ونصيبا مقسوما محسوما ، ومصـيرا مجهولا باطشا .

هـذه هي بقايا « القـديم » في مشـاعرنا ، وأفكارنا ، وفي حياتنا ، وواقعنا كذلك ، على اننا قد أخذنا نواجه الغد والجديد مواجهة جـديدة حقا .

فلم يعد كتابا مجهول الصفحات تماما .
بل نستطيع أن نتنبأ ببعض هذه الصفحات ، وأن نكتبها كذلك ! ولم يعد أياما تفجؤنا بالاحداث وتفرضها علينا فرضا .
بل أصبحنا نواجه الاحداث ونوجهها . بل أصبحنا الى حد كبير — نصنعها ونسوغها كذلك!

وبهذا المعنى لم يعد العصر الذهبى للانسان ، ماضيا قديما ، بل أصبح حلما نسعى به الى التحقق ، أصبح رسالة ومعركة معا .
هذا هو الجديد بحق فى حياتنا ، وهذا هو معنى احتفالنا بالجديد .

انه احتفال بالانسان ، احتفال بانتصاره على المجهول . وعندما نحتفل بعام جديد فانما نحتفل بعام جديد من عمل ، من انتاج ، من ميزانية ، من خطة ، نحتفل بعام جديد سنسعى فيه لنصبح أكثر تقدما ، أكثر رخاء ، أكثر ثقافة .. أكثر طمأنينة وأمنا ، أكثر حرية .

اننا نبصر بالغد ، ونخططه ، نبصر به ارضا نرصفها ، وعمائر نبنيها ، ومصانع نديرها وصحارى نستنبتها ، ومدارس ومستشفيات نقيمها ، وعقولا وقلوبا نملؤها بالوعى والبهجة والثقافة والمتعة والسعادة .

حقا ، اننا لن نستطيع بهذا ان نخطط لسعادة كل انسان على حـــدة . فلن نستطيع مثلا ان نخطط حياة حسين عبد الرحمن البردانى ، ان كان ثمة مواطن بهـــذا الاسم ، ولن نستطيع بتخطيطنا أن نضمن له السعادة ، او أن نطيــل من عمــره . بل ان تخطيطنـا للحياة لن يمنع من أنه سوف يتشاجر غدا مع زوجته ، او يفقد طفلا من اطفاله فى مرض ، أو ساقا من ساقيــه فى حادثة . أو أن يتورط فى خطأ او خطيئة ، بل لعله يمـوت غـدا فى مطـلع هـذا العـام ، من يدرى ؟

انا آسف لهذا القول . اتمنى الا يكون هنـــاك احد بهذا الاسم ، أتمنى الا يموت احد فى مطلـــع العام . أتمنى الا يشقى انسان ابدا . . ولـــكن ماذا افعل ؟ هذه هى الحقيقة .

فهل يتناقض هذا مع ماندعيه من تخطيط الغد والمستقبل ؟ لا بالطبع فتخطيطنا للغد والمستقبل لا يعنى أبدا أننا نحيل الناس الى ملائكة او الى خراتيت ، ولا يعنى ابدا تخطيطا للحياة العاطفية الخاصــة لكل انســان ، ولا يعنى اكتشــاف سر الخلود وصناعته ؟!

وانما يعنى أن يتضاءل ــ شيئا فشيئا ــ هامش

الشقاء فى حياة الانسان ، وان ينضاءل هامش الخطأ والخطيئة ، وان يتاح اطار عام للحياة يستطيع فيه الانسان أن يكون أكثر سعادة وطمأنينة وثقافة .. فلا يكون موته مجرد خاتمة فاجعة ، مجرد نهاية غادرة مفاجئة ، يفرضها عدوان استعمارى ، أو مرض خبيث ، أو حرمان من علاج أو انهيار منزل .

وعندما نخطط الحياة على اساس السلام والحرية والاشتراكية فانما نخطط فى الحقيقة كذلك لحياة حسين عبد الرحمن الوردانى وملايين من الطيبين الشرفاء منأمثاله ،لا فى تفاصيل هذه الحياة ، وانما فى خطوطها العامة .. لن نرسم له خط سيره اليومى ، ولن نحدد له عدد نبضات قلبه ، وانما سنتيح له فحسب امكانية أرحب .. يتحرك فيها بحرية ، وينبض قلبه فيها سعادة . سنحاول فحسب أن نزيل العقبات التى تعوق طريق المحبين . ان نزيل الصعاب التى تحرم الناس من لقمة العيش والثقافة . أن نزيل الحواجز التى تحول دون أن تنمو مواهب طفل ، وان نحجز الرياح الشريرة التى تقتل الازهار والفاكهة والحنطة .

اننا نخطط الحياة من اجل ان نهيىء حدائق

الاطفال بالالوان الزاهية والاغـــانى العذبة ، والمعابثات البريئة ، من اجل أن تزدحم الساحات والمهرجانات بالعائلات الطيبة السعيدة ، من اجل أن يتحلق الفـــلاحون والعمال حول أجهـــزة التليفزيون ، ويتجمعوا فى معاهد العلم والثقافة العالية ومعارض الفنون الرفيعة . من اجل أن تمتلىء البطون والنفوس ، وتلمع العيون والقلوب وتبتسم الشفاه والكلمات ، وتتصـافح الايدى والرغبات . ويتلاقى النـــاس حول الانتاج . فيوزعون الأنصبة الوفيرة . والتحايا الطيبـة . والنكات الحلوة ، والجوائز التشجيعية ، من اجل أن ينتظم نبض المصانع والحقـــول . ويزداد ويتضاعف ويعلو ويفيض بالخير فى شرايين الحياة. من اجل أن تدور الكهرباء فتضىء المصانع الجديدة والبيوت الجديدة والحدائق الجديدة . والمهرجانات الجديدة ، وتزغرد بالبهجة على نواصى كل شارع وكل بيت قائلة : هنا عرس ، هنا عرس ، من اجل أن تمتلىء القلوب بالرضا وحب الآخرين ، والعقول بالوعى وحب الحقيقة ، والسواعد بالقوة وحب العمل . من أجل أن يتاح لكل فرد مجهول ، ألا يكون مجهولا فى مجتمعه ومن مجتمعـه ، أن يكون له بيت وعروس وعمل ، وأن يشارك فى صناعة الغد وصياغة الجديد وتخطيط المستقبل

من اجل هذا نحتفل بالغد ، باليوم الجديد ، بالعام الجديد . بالجديد من ايامنا ، والجديد من اعمالنا .

نحتفل بالغد احتفالنا بمسئولية جديدة . بمرحلة جديدة . بشوط جديد فى سباق التقدم البشرى .

ونستقبل العام الجديد . فلا نطل على عالم مجهول ، حافل بالاسرار والغيوب المفزعة .
على اننا كذلك لا نطل على عالم جاهز سلفا ، سعيد سلفا ، خال من العيوب والنواقص والاخطار والاخطاء .

وانما نطل على « امكانية » شاسعة ، نطل على عمل ومسئولية ومن هنا تنبع حريتنا وينبع التزامنا كذلك .

ما اكثر ماحققته البشرية عبر العصور الماضية والسنوات الاخيرة من انتصارات ، وما اكثر ما يترامى امامنا كذلك من مسئوليات جديدة وانتصارات جديدة .

ما اكثر القضايا والمعارك العامة والخاصة ، الانسانية والقومية السياسية والاجتماعية والثقافية .

اننا ندرك أنه فى فلسطين ، والجنوب العربى والكونغو ، وانجولا ، وجنوب أفريقيا ، وبقاع كثيرة من العالم ، هناك مواطن .. هناك انسان لاجىء أو مشرد أو جريح أو قتيل .

وندرك أن مخــازن الحنطة والكتب والادوية قد أصبحت تزخر بالقنابل الــذرية والصواريخ القاتلة وأسلحة الدمار الشامل .

وندرك أن الاستغلال والاستعمار مصدر هذه الشرور جميعا .

ولكنناندرك أن الاستغلال والاستعمار فى نهايته، وأن الاشتراكية هى التخطيط العلمى للقضاء على الاستعمار والاستغلال ، لحماية السلام لضمان التقدم البشرى الى غير حد .. ولهذا فالاشتراكية هى طريقنا ، هى سلاحنا ، هى معرفتنا بالغــد والجديد .. وهى تخطيطنا للغد والجديد .

وعندما نحتفل بمطلع عام جديد ، فاننا نحتفل بمطلع مرحلة جديدة فى طريق الاشتراكية ... مرحلة جديدة فى تخطيطنا للغــد والجديد — أن نبنى تنظيما سياسيا ثوريا لقوى الشعب العامل. اننا نرسى دعــــائم الديمقراطية الاشـــتراكية

ونمارسها ، أن نستهل خطة جديدة لتنمية الاقتصاد وبناء الصناعة الثقيلة .

وما أخطر ما تعنيه هذه الامور الثلاثة فى صناعة الغد ، وصياغة الجديد ،وبناء المستقبل ،

ليكن احتفالنا بالجديد ، لامجرد احتفال بمواسم وانما هو احتفال يومى حى بكل جديد . لنحتفظ دائما فى نفوسنا بشعلة الجديد ، بروح التطلع الى الجديد ، روح اكتشاف الجديد ، والتحرك معه ، ليكن الجديد فى كل يوم ، فى كل لحظة . فى كل فكرة ، فى كل عمل ، فى كل لقاء .

لتكن حياتنا احتفالا دائما بالجديد ، ونبضا متصلا بالجديد .

ولن يعنى هذا ابدا انفصالا عن تراث أو انقطاعا عن تاريخ ، ذلك لان الجديد هو بحق روح كل تراث وروح كل تاريخ ، بل الجديد هو روح الحياة نفسها وسر شجرتها الدائمة الاخضرار والنضارة ، تحية وتهنئة بالعام الجديد وبما يبشر به من جديد لبلادنا ولوطننا العربى وللبشرية جمعاء .

المصور : ١ يناير سنة ١٩٦٥

التفاؤل والتشاؤم

كثير من الاصدقاء يتهمنى بالتفاؤل الدائم وانا فى الحقيقة متفائل دائما .. حتى فى اشد الحالات الضائقة والمحنة ما اكثر ما يرين الحزن على قلبى ولكنى ما افقد تفاؤلى أبدا .

والتفاؤل ليس بطبيعته اتهاما .. ولكنه يمكن ان يكون كذلك اذا كان مجرد استبشار صادر عن انفعال ، أو كان مجرد تطلع عاطفى لا تسنده ركيزة موضوعية .

وفى هذه الحالة قد يصبح التفاؤل غفلة .

وأنا أزعم لاصدقائى دائما أن تفاؤلى الدائم، هو تفاؤل موضوعى ٠ ليس غذاء موهوما أطعمه قدرتى على الصبر والمثابرة ، وليس علالة اعلل بها النفس .. وانما هو رؤية ارجو ان تكون صادقة لملامح المستقبل ، مهما احتجزتها عقبات

الطريق .. انها هناك أراها .. وأعرف الطريق اليها ٠٠ فقد أتعب أحياناً ، قد أحزن ، قدأتألم، ولكنى أراها وأعرف الطريق ٠

ولكن ٠٠ لماذا لانراها نحن ؟

هكذا يقول بعض الاصدقاء ٠٠

ألا ترى معنا هذه العقبات ؟ هـذه النواقص ، هذه السدود والحدود ؟

وأقول لهم : نعم أرى٠٠ بل لعلى ـ فى غير تواضع زائف ـ ٠٠ قد أرى منها أكثر مما ترون٠ ولكنى رغم هـذا وبفضـل هذا أرى ماوراءها ٠٠٠ أرى عبرها ، معالم المستقبل ٠

واقول لهم : اننا لا نستطيع أن نرى المعـالم البعيدة ، بل القريبة للمستقبل بمجرد تحـديد النظر فى الحاضر ، بل نراها بمدى مشاركتنـا الحارة فى صناعة هذا الحاضر كذلك .

ان رؤية المستقبل لاتكون أبدا خـلال بلورة سحرية ، ولا تكون أبدا عبر نافذة تطل من بعيد أو من فوق أو من جانب واحد ، ولا تكون أبدا عبر أستارالعواطف الذاتية أوالتطلعات الخاصة٠ وانما تكون الرؤية الصادقة بالمعايشة الصادقة لحركة الواقع نفسه .. بالمعايشة شبه الجدية مع صراع الليل والنهار ، صراع القديم والجديد ،

صراع الشر والخير ، فى قلب الحياة اليوميـــة ، لا تكون بالتأمل ، وانما بالعمل بالاحساس المجاهد والرؤية المجاهدة . لن تعرف الطريق ، ولن ترى غايته ، دون أن تعاني مسيرته وتبلور مصاعبه . ان المعـــرفة الحية هى دائما مصـــدر الحكمة المتفائلة .

والتفاؤل لايغفل العقبات والمصــاعب والمآسى والاحـــزان ، ولا ينفيها او يتجاهلها . وانمـــا يحتضنها فى ادراكه الموضوعى ، ويتخطاها بالعمل الدؤوب .

التفاؤل ليس املا قدريا مغمض العينين كتمثال العدالة المطلقة ، بل هى عيون ثاقبـــة تنبعث فى ايدى العمل ، وجسد المشاركة ، وروح النضال .

الاخبار : ٢٤ فبراير ١٩٦١

هبى ياريح الثورة

لا شيء اتطلع اليــه فى بداية العام الجديد ، لا شيء أصلى من اجله مثل ما اتطلع واصلى لروح الثورة ، روح الثورة فى الانسان ، روح الثورة فى العصر ، روح الثورة فى العالم اجمع .

هذا هو الشيء الذى كاد يختنق فى حياة العام الماضى ، فى حياة الانسان المعاصر .

ان روح الثورة تكاد تنحسر فى اكثر من ركن .
ان نبض الثورة يكاد يموت فى اكثر من قلب .

ان الانسان يعانى وينزف وحيدا فى اكثر من بقعة ، ان رايات الشر والعدوان والمجـــاعة والتخلف والاستسلام ترفرف فى استخفاف فوق اكثر من جبل وسفح .
وان رايات الحق والفضيلة والتقدم تكاد تتمزق — حزينة — بين الايدى الصديقة ، قبل ان تتمزق

بين الايدى الباغضة الكارهة . ان روح الثورة فى الادب ، فى الفن ، فى الفكر ، فى الحياة كلها ، تتلوى تحت رماد متراكم .

لا اقول ان روح الثورة فى العالم تحتضر ، ولكنى احس أن روح الثورة فى العالم ، مشتتة ، مفتتة ، ضائعة حزينة .

من اجل هذا اتطلع واصلى لروح الثورة فى العام الجديد .

اغلب ما تقرأ من كتب ، اكثر من تقابل من اصدقاء من هذا الركن القصى فى العالم ، أو هذا الركن القريب ، تطل منهم روح الانتظار والترقب والغربة ، ان لم تطل روح اليأس من الثورة ، روح المكوف على العابر الجزئى من اهتمامات الحياة اليومية .

قال لى واحد من هؤلاء الاصدقاء من بلاد الشمال : ان جيلنا قد فقد الثقة بالثورة ، لم يعد فى حاجة اليها .

وقال لى كتاب من اقصى بلاد الغرب : دعك من القضايا العامة ، لا تحفل بالبطولات ، ابحث لنفسك عن مهمة صغيرة ، جزئية . هذا هو معنى الحياة .. كل حياة !

ورأيت في كتاب من أقصى بلاد الشرق صفحات مضيئة ، ولكنها ممزقة مزقتها أيدى الاصدقاء ٠ هل احتضرت روح الثورة ٠ لا ، لم تحتضر ، ولن تحتضر ، فالبطولات لاتزال تنسج الاساطير فوق قمم الجبال ٠ والجباه ماتزال شامخة فى مواجهة المحن ، والقلوب لاتزال تنبض بالخير والطيبة والدفء فى البيوت الفقيرة ٠ والتاريخ يتحرك الى الامام رغم عثرات الطريق ٠ ولكن روح الثورة، روح الشعر المتوفز المشتعل ، تتحرك سحاباتها الداكنة فى سماء العصر حركة متثاقلة حزينة ٠

لقد امتحنت المثل العليا في أكثر من ركن من أركان الارض ٠ وكان الامتحان قاسيا ٠ لقد أنتصرت المثل وسقط ضحايا ٠ ولكن ٠٠ كان بين الضحايا بعض القيم ٠

ولقد تحققت الاحلام ، ولكنها عندما تحققت اصطبغت بلون التراب الداكن ، ولم يعد أصحابها يتحدثون بلغة الحلم والبطولة ، وانما بلغة الارقام والتجارة ، بل أختلف الحالمون الثوار وشهروا الاسلحة فى وجه بعضهم البعض ، واحسرتاه ٠

هل ماتت المثل العليا ، هل ضاعت الاحلام ؟ ٠

لا ٠٠ أبدا ٠٠ بل تعقدت مشاكل الانسان وتعددت مسئولياته ٠ وأصبحت الاحلام عملا

قاسيا ، رهيمة شاقة ، وارادة سعيدة شيقة ، وأصبحت الاحلام تروسا وأدوات ومصالح وأسواقا وأسلحة . أصبحت موائد للطعام ، ومنابر للخطابة، وساحات للمناورة والمداورة والمداهنة.

هل ماتت روح الثورة ؟

لا .. انها تنبض وتتلوى وتلمع تحت الرماد المتراكم .

من أجل هذا أتطلع وأصلى لروح الثورة :
ياروح الثورة هبى مع مطلع العام الجديد . أملئى الشوارع والمدن والعصر كله بأهازيج البطولة ، ضمخى الجباه بروح الاقدام ، واملئى القلوب بروح الجسارة ، والعقول بروح التجدد . واجمعى القلوب والعقول والسواعد على العمل الخلاق . على الخير والبناء والمحبة .

هبى ياروح الثورة ، ياروح التاريخ فى الانسان. يا ارادة التغيير فى الانسان ، ياروح الجماعة والحركة والتجديد . هبى فى مطلع العام الجديد . ارفعى نبض القلب البشرى ، ازيحى الرماد ،انزلى الامطار ، أنبتى الارض البوار ، وحدى صفوف الاحرار والثوار ، مزقى الرايات السود فوق شواطىء التقدم . هبى يا روح الثورة انتصارا وتحررا ، علما ووعيا وحماسا ، بهجة ومردة وسلاما ، لقاء وعملا وخلقا وتجددا .

على أني اعرف ياروح الثورة أنك لا تأتين لمن ينتظرك ، لاتأتين لهؤلاء الشحاذين أصحاب الاصوات الشجية الذين يغنون تحت شباكك ، أنما تتحققين بالعمل لا بالانتظار ، وتتجسدين في السواعد البانية والارادات العازمة الفعالة .

لتكن صلاتنا لك ياروح الثورة عملا وتجددا وتغييرا ومحبة ، نرفعها رايات خفاقة خلاقة في مدننا ، في شوارعنا ، في مصانعنا ، في حقولنا ، في بيوتنا في حياتنا ، لنا .. للناس جميعا .. من اجل هذا تدق الاجراس في مطلع العام الجديد .

تحية لك ياروح الثورة المتجددة .

المصور : ٣١ ديسمبر ١٩٦٥

الربيع ‥ والانسان

في عيد الربيع ، يحلم الانسان بالربيع الدائم لانسانيته . ماذا لو كانت الحياة الانسانية ربيعا دائما ‥ ومع العصير اللين المتدفق في الجذوع الجافة ، تورق أحلام الخضرة الابدية في قلب الانسان . وبرغم الام الماضي وبفضلها ، وبرغم عقبات المستقبل وبفضلها ، تمتد الاغصان المتفائلة الى الآفاق البعيدة ، مبشرة بوعد غامض سعيد ، بشباب انساني لايشقى ولا يجف .

وبين الاحلام الناعمة ، والواقع الخشن ، يسقط الظل وتقوم الاسوار .

الا أن ملايين الاشواق الخضراء الندية تواصل الحلم لاتفقد الامل . تعمل وتتحرك وتتناضل . بعضها يسقط شهيدا في الطريق ، وبعضها يواصله ، دون أن يصل ‥ ودون ان يفقد الامل في الوصول . وهل التاريخ الانساني كله الا

حكاية هذه المسيرة المنقطعة المتصـــلة فى طـريق الحلم البعيد ٠٠ الربيع الانسانى الدائم النضارة ٠

قال شبنجلر فيلسوف الحضارة المتجهم : حذار ان الربيع فصل واحد من فصول الحياة ، حيـاة كل فرد ، وحياة كل مجتمع ، تماما كالطبيعـة ، مجرد فصـــل بين فصولها الاربعة ٠ ربيع وشتاء، ثم خريف وصيف ٠٠ شباب وشيخوخة ٠

هذا هو القانون الابدى للطبيعة والانسان على السواء : على انه قبل شبنجلر ، وبعد شبنجلر ، ظل الحلم يورق فى قلب الانسان وعقله ٠ يورق بالمعاناة والدم والامل ٠ يرفض مايقوله شبنجلر ويسعى بالمجاهدة لتحقيق الحلم ٠

المدينة الفاضلة ، ومدينة الشمس والاطلانتيس وكل يوتوبيا سـعيدة ، كانت خطـوات مبعثرة ممتدة ، صـاعدة فى الطريق الوعر الســـعيد ٠ أفلاطون والفارابى وبيكون وتوماس مور وعشرات غيرهم ، بل مئات ، بل ملايين غيرهم لم يحسنوا تأليف الكتب ، لم يحسنوا صياغة الافكار والمشاعر ولكنهم فى الطريق الوعر السعيد ، جاهدوا كذلك بالعمل واستشهدوا من أجل الحلم ٠ ملايين كانوا ، وملايين سيكونون ٠

هل يتحقق الحلم ٠ هل يستطيع الانسان أن يصنع عالما أبدى النضارة ؟ ٠

فى بعض الاحيان ضاق الحلم وضـاق ، حتى أصبح مجرد رغبة فى قهر الموت الفردى ، الا أنه فى أغلب الاحيـان لم يحفل كثيرا بهـذا الموت الفردى ، بل تطلع الى قهر المـوت الاجتماعى . ألا يموت الانسان وهو حى ، ألا يموت الانسـان قبل أن يستكمل حياته ، ألايعيش الانسان مقهورا . أن تتنفس الحياة الانسـانية بالسلام والوداعة . بالعـدالة والمحبـة ، بالكرامة والحرية . لايقطع أنفاسها أستغلال أو جوع أو عدوان أو مذلة . ان يجرى العصير للناس كافة ، باسـطا أرزاقهم ، ميسرا معيشتهم مجـددا ربيع حياتهم بالتـألق والسعادة والابداع .

وهل صراع المذاهب والافكار والقيم والمصالح الا هذا الصراع من أجل الربيع الدائم للانسان !؟

البعض لايريد الربيع الا لنفسـه ، يصـنعه الآخرون له . عصير ربيعه ، وهو عصير حياتهم . له الربيع ولهم الشـيخوخة . له السـعادة ولهم الشقاء .

لهذا لم يبدأ بعد تاريخ الانسان الحق . لـن يبدأ قبل بداية الربيع الحق . عـلى أن البدايـة لاتبدأ أبدا الا ببدايات أخرى تسبقها وتمهد لها . وماأكثر البدايات المشرقـة فى تاريخ النضـال

الانسانى من أجل حلمه النبيل .

ومع فصل الربيع كل عام ، يتجدد عصير الامل ، وتقوى ضربات الفئوس فى الارض الجافة ، تزرع وتحرث وتطلق القنوات المتفائلة وتتطلع الى الحصاد .

ان احتفال الانسان بالربيع فصلا طبيعيا متجددا مرة كل عام ، هو أمل طبيعى فى الربيع الانسانى الدائم على مدار الاعوام .

الاخبار : ١٤ ابريل ١٩٦٩

الحـــوار البشرى

ليس هناك ماهو امتع من الحوار المثمر ٠٠ وقد يكون الحوار نوعا من الحديث البشرى العادى ، ولكنه فى الحقيقة مرتبة رفيعة منه ٠

فالحديث العادى قد يكون ثرثرة صادرة عـــن استرخاء أو أزجاء الوقت ٠٠ وقد يكون حديثـــا متسكعا بين أزقة معتمة أو مسدودة ، وقد يكــون مجرد حديث اخبارى لايتوجه معنى كبير ٠

ولست أنكر ان للحديث الانسانى العادى متعته بغير شك ، وخاصة اذا كان صافيا ، صادرا عـــن القلب ، عـــن الخبرة ، وكان فى غير اســـتعلاء أو افتعـــال ٠ انه معنى من معـــانى المودة البشرية الحلوة ٠

على أن الحوار هو ارتفاع بالحديث البشرى الى مستوى الخلاف الفكرى بحثا عن الحقيقة ٠ والخلاف

الفكرى لايعني بالضرورة التشاجر ، ولا يعنى البغضاء أو العداء •

فقد يتم الخلاف الفكرى ، بل الصراع الفكرى على أرض فكرية ومصلحة فكرية مشتركة •

ومن الطبيعى ، بل من الصحى ان يختلف الناس وأن يتصارعوا فكريا ، مهما كانت وجهات نظرهم العامة موحدة • ذلك أن الفكرة الواحدة فى الذهن الواحد قد تتخذ بحسب الخبرة والثقافة والتكوين النفسى الخاص منحى خاصا يجعلها تختلف عن نفس الفكرة فى ذهن اخر •

والفكرة الواحدة فى الذهن الواحد عندما تختبرها فى التطبيق الحوارى أو العملى أو عندما تفتتها ونحللها الى عناصرها الداخلية ، قد تختلف عن نفس الفكرة فى ذهن اخر • وقد يعنى هذا اختلاف الفكرة من حيث الجوهر وان اتفقت من حيث المظهر •

والحقيقة أن الوحدة المطلقة للفكر بين البشر ، أمر يكاد يكون مستحيلا • ستظل دائما هناك تفريعات وتنوعات وألوان وزوايا تفرق الفكرة الواحدة فى تفاصيلها عن نفس الفكرة فى الاذهان المختلفة • والتنوع الفكرى هو تعبير عن خصوبة انسانية ، وهو تعبير عن ضرورة انسانية كذلك •

فالفكرة تنبع من خبرة الانسان بواقعه ٠ والواقع دائما متحرك ، متنوع ، نشط ٠ ولهذا فالفكرة كذلك دائما متحركة متنوعة نشطة ، وتختلف حركة الفكر في ذهن الانسان باختلاف مصالحه واستعداداته وخبراته ٠

والحوار البشرى هو محاولة للارتفاع بالتنوع والاختلاف الى اطار مشترك من الوحدة ٠ وهو ضبط لايقاع الحركة والنشاط الواقعى ، وتجميع وبلورة للخبرات الحية ٠ ولكنه فى الوقت نفسه فرز لما هو صحيح سديد ، عما هو فاسد معوج ، انه جوهر اسلحة الانسان للوصول الى الحقيقة ، حقيقته ، وحقيقة الوجود من حوله ٠

ولهذا ، أكاد أقول أن الحوار - بهذا المعنى الرفيع هو الحل السعيد للمشكلة الفلسفية التقليدية :

ماهو جوهر الوجود الانسانى ٠٠ هل هو الفكر الخالص ٠٠ أم هو العمل الخالص ٠

قال ديكارت : أنا أفكر ، أذن فأنا موجود ٠ ورد عليه الشاعر هاينى قائلا : لا ٠٠ أنا أقبل أذن فأنا موجود ، كما رد عليه سارتر وأشياع المدرسة الوجودية والعملية قائلين : أنا أختار ٠٠ أنا أعمل ٠٠ أذن فأنا موجود ٠

على أن سقراط كان أسبقهم فى كشف الحقيقة

عندما اتخذ الحوار والجدل سبيلا الى ذلك جاء هيجل فارتفع بالجدل الى مستوى النظرية ·
في الحوار يتحقق جوهر الوجود البشرى : ذلك ان الحوار هو الفكر صادرا عن خبرة حية، ومتجها الى موقف عملى حى ·

وفى الحوار البشرى تتكامل الشخصية البشرية · تتعانق الخبرات المتنوعة ، تختلف ، تتصارع ، تنضج ، يتخطى بعضها بعضا ·
قد يبدأ الحوار بين فكرين أو بين أكثرمن فكر في ندوة أو مؤتمر · وقد تتعدد زوايا الرؤية· وتختلف وجهات النظر ·

وبالحوار ومن الحوار ، تتجمع العناصر ، وتنضج الخبرة ، ويتبلور المعنى ، ويتحددالهدف·
الحوار هو شكل من أشكال التفكير الجماعى ·
فبدلا من أن يتم نضج الفكرة بينك وبين نفسك ، يتم نضجها بينك وبين غيرك ·

قد يكون رأيك صوابا ، وقد يكون محاورك مخطئا ، ولكن ماأحوجك الى الحوار معه ،الى احترام هذا الحوار والحرص عليه · ان الحوار سوف يغنى صوابك ، ويقوى حجتك ، ويصحح بعض النقص فى رأيك ، ويضيف اليه أبعادا لم تكن فيه ·

الفكرة الصحيحة ـ أى فكرة صحيحة تنضج دائما بالمشاورة وتبادل الخبرة .

الحوار البشرى متعة بشرية فريدة . ولكنه يحتاج الى صبر ، وحكمة ، واحترام عميق لاراء الآخرين ، يحتاج الى حسن انصاف وحسن تفهم . وحسن معالجة ، وحسن تطوير وتنمية ، للوصول به الى مايبلور الرأى المشترك ، ويسدد خطوات العمل .

تمنيت لو ساد هذا الحوار الرفيع حياتنا جميعا ، العملية والسياسية والانتاجية والفكرية والثقافية والاجتماعية عامة .

سيكون ايقاعاً للتقدم فى مجتمعنا الجديد .

الاخبار : ٧ أكتوبر ١٩٦٨

تأملات فى معنى التعصـــب

كنت التقى به فأحس فى عيونه هـدوءا نادرا يكشف عن اسرار القلب ٠

وكنت أدرك فى عقله رجحـانا ، وفى نفســه سماحة ٠ لم أكن أشك فى أنه يعيش من أجـــل مثل أعلى ٠

ولم أكن أشك فى أنه مستعد أن يموت منأجل هذا المثل الاعلى ٠

وكنت أختلف معه ، وكان يختلف معى ، كان كلانا يقف على الجانب الاخر من الطريق ٠ على أننا عندما كنا نقف معا الى جوار السور البعيد ، كان احساسا غامضا يواخى بين قلبينا ٠

لعله الاحساس المشترك بالمعاناة أو بالرحلـــة من اجل شىء أكبر من الانسان الفرد ٠

وتمنيت أن يخرج صديقى الى الحياة ، يمارس متعها الشريفة ، ويشارك فى مواكبها الصاعدة ٠

وتمنيت أن ألتقي به في العمل والبناء .
وأفترقنا ولم نلتق أبدا . على أننى أحسست بلقاء غامض بينى وبينه ، وأنا أقرأ أخبار المؤامرة الدموية الاخيرة على ثورتنا . ورحت أتساءل ، كأنما أحاوره .

كيف تصبح رحلة المثل الاعلى خنجرا فى صدر الانسان ، وبصقة فى وجه التقدم ، وانتهاكا لحرمة المثل الاعلى نفسه ؟ .
كيف يصبح الانسان السمح ، الانسان الخير ، الانسان الانسان كيف يصبح مجرد أداة لجريمة ، كيف يصبح مجرد أداة .

كيف يتكدر فى عيونه الصـــفاء ، ويميل فى عقله ميزان الحكمة ، وينقلب الاحساس المتحضر غلا وحقدا على الحضارة نفسها ! .
أى ريح باردة عصفت بعود الانســان الرقراق بالخير والمودة فجف ومات فيه الرحيق .
من ذا الذىأخلاه من أجمل مافيه ، وملأهبالشر والضغينة .

هل هو مرض نفسى فى أغوار الذات .
أنا لا احب علمـــاء النفس التحليلى ولا ارتاح لتفسيراتهم ، انهـم لايجدون فى ظواهـر الحياة البشرية ، الا هذه الجريمة الاولى . جريمة الانسان

الاول الذى قتل أخاه . ان كل مايجرى حولنا من جرائم جديدة ليس الا تكرارا لهذه الجريمة الاولى . هكذا يقولون ؟ ان الابن الاكبر يقتل أباه ليستولى على أمه ويحقق أوديب فى نفسه دون أن يدرى . على أن أباه الحديد قد يكون حكومة يريد أن يسقطها أو دولة يريد أن يذهب بها أو زعيما يريد أن يغتاله ؟ .

وهكذا يريد هؤلاء المحللون النفسيون أن نتجاهل الطابع الاجتماعى لحياة الانسان ، وأن نبحث في مجاهل النفس الفردية ، عن اسرار هذه الحياة .

على أن صديقى – على سبيل الرمز – لم يخرج وحده . لم يتحرك وحده . بل كانت حركته توقيتا جماعيا . هل هى أسرة واحدة خرجت معا لتقتل أباها ؟

ماأسخفه من تفسير .

على أنه ليس تفسيرا للجريمة ، ولكنه بالاحرى تبرير نفسى لكل جريمة ؟؟ .

ان التفسير النفسى لايفسر شيئا فى حركة النفس الانسانية . ان العامل النفسى جزء من حركة الانسان ، ولكنه لايستطيع وحده أن يفسر هذه الحركة .

لست أعرف ماعلاقة صديقى بأبيه ، حتى

أستطيع تفسير موقفه تفسيرا نفسيا خالصا على طريقة فرويد ؟ ولكنى أعرف فيه خصلة من أبرز خصاله لعلها وراء مايحدث : انها التعصب . كان صديقى متعصبا للغاية . كان كل شيء عنده أحد أمرين : الابيض والاسود . ولاشيء منـدرج بين هذا وذاك . كأن هناك اطارا ثابتا لكل شيء . كان هو على صواب . أما كل ماعداه ممن لايرى مايراه، فمخطيء على الاقل ، ان لم يكن مارقا خارجا عن ارادة الله ورحمته . كان يتحرك بين طرفين هما الكل أو اللاشيء . فاما كل شيء واما لاشيء . فاما أنت معى تماما . واما انت عدوى تماما . هكـذا ينعدم الحوار مع الاخرين . ويصبح الانسان بين أمرين : اما سلبية الى حـد الموت للنفس ، واما ايجابية الى حد الموت للاخرين ؟ .

أما العزلة الكاملة عن كل شيء غيرى ، واما الفعل القاتل لكل شيء غيرى ، وكلاهما عزلة قاتلة عن المنطق والحياة والحضارة .

وعندما كنت أقرأ ماكتبـه شـيخهم عـن أنه لا حضارة في القرن العشرين بل جاهلية . وأنه لا حضارة خارج الجماعة ، أحسست بهذه السلبية الى حد الموت للنفس وهذه الايجابية الى حد الموت للآخرين . أحسست بهـذا الاختيـار بين الـكل واللاشيء فأنا كل شيء ، أما ماعداى فلا شيء ؟

هذا هو التعصب . الجفاف فى الفكر والنفس على السواء والاختناق فى اطار الفكرة الواحدة الثابتة الجامدة . لاتعترف بفكرة سواها ، ولاتقبل تعبيرا يعتورها .

هى «كل شىء» وما عداها «لاشىء» ؟

ماأكثر ماأصاب هذا التعصب قيما ومذاهب ومثلا عليا ، فكان يقضى عليها وعلى أصحابها ، ولكن ... أليس هذاالتعصب اذن ظاهرة نفسية : أليس صفة من صفات النفس الفردة ؟ نعم . ولا .

نعم انه صفة نفسية فردية ، ولكنه عندمايخرج من حدود الفرد الى حدود الجماعة المنظمة لايصبح مجرد مرض نفسى ، وانما يصبح ظاهرة اجتماعية موجهة .

هل كانت محاكم التفتيش فى العصور الوسطى المسيحية مجرد ظواهر لمرض نفسى أصيب به القائمون على هذه المحاكم ؟

لا . بل كانت ظاهرة اجتماعية نابعة من الظروف الاجتماعية لتلك العصور المظلمة ،

على أن التعصب صفة نفسية بغير شك يمكن أن تصبح استعدادا طيعا للانضواء فى اطار الظاهرةالاجتماعية ، ولكن ظاهرةالتعصب فى حركة اجتماعية لاتفسر بمن ينضوى فى اطارها من أفراد

متعصبين — وانما بأهدافها وغاياتها ووسائلها · تفسر بوظيفتها الاجتماعية ·

ان الفرد المتعصب يجد في الجماعة المتعصبة تعبيرا عن ذاته ، واسقاطا لمشاعره ومنهجه الفكرى، كما أن الجماعة المتعصبة تجد فى الفرد المتعصب أداة لتحقيق مآربها التى هى أكبر من أهداف الفرد المتعصب : بل هي في جوهرها أهداف اجتماعية جامدة متخلفة · وهكذا يستغل الفرد الجامد فى خدمة أهداف الجمود الاجتماعى عامة ·

والجماعة المتعصبة انما تحسن ادراك البناء النفسى للفرد المتعصب ، وتحسن تغذيته بما يضاعف تعصبه ، انها تدرك غلبة الطابع العاطفى الانفعالى على سلوكه · وهى تغذى هذا الجانب فيه · وهى تدرك جموده الفكرى وحدوده الثقافية ، وبهذا تحرص على ان تملأ دائرته العقلية بفكرة ثابتة ، وتروج تكررها وتؤكدها بغير حد : حتى تصبح الرؤية الدائمة الوحيدة التي ينظر من خلالها الفرد الى كل شيء آخر · وعندما تمتزج الفكرة الجامدة بالعاطفة والانفعال ، تصبح قوة قادرة على تحقيق أى شيء · وهكذا يصبح الفرد المتعصب فى اطار الجماعة المتعصبة ، أداة ميسرة ، خالية تماما من أعمال الفكر ، وتحريك الارادة خارج حدود الدائرة المرسومة ·

وفى هذه الدائرة المحدودة لايستطيع أن يدرك ماخارج هذه الدائرة من خيوط وأصابع وغايات بعيدة أشد ماتكون تناقضا مع نقطة البداية الفكرية والعاطفية التى ارتبط منها بهذه الجماعة.

وهكذا لاتصبح الظاهرة مجرد ظاهرة نفسية، أو اجتماعية ، بل لعلها تصبح كذلك جزءا من مخطط عالمى مريب .

هل كان صديقى — على سبيل الرمز — يتصور أن خطاه فى طريق المثل الأعلى ستقوده الى هذا المخطط ؟

ستجعله أداة فى يد الحلف المركزى يحقق له غاياته الخسيسة ، باسم المثل الأعلى ؟

انها مأساة .. عميقة .. مأساة حقيقية ، أن نجد بعض شبابنا المثقف : يستحيل الى أدوات صماء فى أيد غريبة ، تدور به فى دوائر مقفلة من التعصب والكراهية والتخريب .

ونتساءل أخيرا ..

لماذا سلك صديقى وأمثاله هذا الطريق المقفل؟ لماذا لم يستطع الميثاق أن يملأ فكره ؟ لماذا لم يستطع الاتحاد الاشتراكى أن يحرك ارادته ؟لماذا لم يجد فى مجتمع الثورة مجتمعه ، المجتمع الصاعد الى المثل الاعلى ؟

ذلك أن الفكر المتخلف فى بلادنا مازال أقوى أثرا وفاعلية من فكر الميثاق ..
لهذا سقط صديقى — على سبيل الرمز — فى حبائل الثورة المضادة بدلا من أن يرتمى فى أحضان الثورة .. لست أدافع عنه ، ولست أبرر جريمته .. ولكن أبحث عن مسئوليتى ، عن مسئوليتنا جميعا .

ان أكثر من موقع ثقافى فى بلادنا ، مازال يفرز الفكر المتخلف : ويغذى التعصب والجمود والبلبلة ، وكراهية العلم ..
ان شبابنا لايجد مايوظف طاقاته ، ويملأ نفسه بالفكر والعمل والقدوة الحسنة ..

وان الثورة ينبغى أن تتحرك بحسم لتحمى نفسها ، لتحمى أبناءها ، لتحمى شبابها ، لتحمى مثقفيها ، لتحمى مكاسبها . وهى لن تحمى نفسها بالاجراءات الرادعة فحسب ، وانما بالتعبئة السياسية ، والتوعية العلمية . والحركة الاجتماعية النشطة كذلك . على ألا يكون هذا عملا موسميا يقوم ثم سرعان مايقعد كما يحدث دائما . وانما يكون عملا متصلا خلاقا متجددا حتى لاتتكرر مأساة صديقى ، وحتى لاتصبح ثورتنا مأساة ..

المصور : ١٥ اكتوبر ١٩٦٥

أغنية دون كيشوت .. الأخيرة

المصادفة البحتة ساقتها اليه بعد غيبة طويلة قاربت عشرين عاما . فى عيونها بقايا ومضات ماتت فى نفسه . وفى كلماتها بشارة لمستقبل مازال يعانى مخاضه العسير ، ويعيش على صناعة نسيجه الحى . كانت آخر أغنياته ، آخر قصائده، آخر مغامراته بالكلمة .

كان شاعرا ، وكان شعره غذاءه اليومى وخبزه ونبيذه .

كان يفكر بالشعر ويحس بالشعر ويمارس الحياة بالشعر . لم يكن الشعر فيه ، بل كان فيه وفى الوجود من حوله ، فى الطبيعة فى الكون ، فى الانسان ، فى القيم ، فى السلوك ، فى الفكر، فى العلاقات المجردة ، والعلاقات المحسوسة . فى الجسور والبرازخ ، فى الجبال والسفوح ، فى اليقظة والنوم ، فى المعقول واللامعقول .

وكان الشعر كيانا وجوديا ، بصوغه ،ليضيف به الى الحياةحياة أخرى ، لنفسه وللناس والطبيعة، ويكشف به في الحياة والكون جوهرهما الخبىء ، ونبضهما الحقيقى ، وخطواتهما المجاهدة أبدا :
ثم قال له الشعر ذات يوم ، كى تكون شاعرا بحق ، لاتكن شاعرا ؟ كيف ؟ كن انسانا عاديا ·

سر في طرقات الناس · عش حياتهـم · كل مجاعتهم · واشرب أحزانهم وتنفس أشـواقهم · خض بحار ظلماتهم ، واصعـد جبـال همومهم ، وكن خادما أمينا متواضعا لهم ·

وباسم الشعر ، ترك الشعر من أجل الشعر · وكانت آخر أشعاره «أغنية دون كيشوت الاخيرة » نشرها منذ مايقرب من عشرين عاما ، على قلة ماكان ينشر باسم «بشارة» ثم بدأ رحلته الى الشعر الحى ··· الى الناس ·

وبعد عشرين عاما يلتقى بالمصادفة البحتة مـع أغنيته الاخيرة وبشارته الاولى · ويتأمـل فيهـا حديث عمره القديم :

هل أغنى ···· هل أشرع السـيف
أم أقبع وحدى ــ هنا ــ وراء ستاره،
أتلهى بمـا تلهـى به النـاس :
سـؤال عن صـحة ··· وسجاره ؟

أرشف العمر فى اتئاد وحرص
ثم أذرو دخانه فى مهاره ،
واذا عضنى الفراغ وأدميت ،
أأغفو ... مؤملا فى استخاره ؟
ثم .. أن أصبح الصباح .. ..
وعيناى على الأفق : لهفة وانتظاره ،

ثم .. ان جاءت الظهيرة .. ..
والأفق دموع ملحية مدراره
ثم .. ان أقبل المساء ــ على الأفق ــ
قناعا مفزعا .. .. لا بشاره ،
هل سابقى ــ هنا ــ وراء الستاره ،
أنفث العمر فى دخان سجاره ،

واذا عضنى الفراغ تحاملت ،
وعاندت ساقى الخواره ،
وتساندت ع الجدار ،
وأطعمت فراغى من الحصى والحجاره ؟!
أم أغنى ... مجمعا حولى الاطفال..
حولى .. من كل شق وحاره ،

كى نغنى كما تغنى الصراصير
مع الليل ، .. أم غنائى ستاره ،
لم تزل تحجب العيون عن الأفق ،
أم الافق ... فكرة غراره ،

ليس منى ، ولست منهـا ٠٠ ولـكن
لبسـتها أذناى فى خمـاره ،
ذات ليـل معـربد كنت فيـه
أتحـدى سمـارها ٠٠ البحـاره !

لن أغنى ! ٠٠٠ سأشرع السـيف ،
بل أقبع وحـدى هنا أمام الستاره ،
أشحذ السيف ٠٠ فى اتئاد وحرص ،
ثـم أجـلو بيقظتى أشـفاره ،

كى أرى الافـق ان بدا ذات يـوم
فى سراويله انتفـاخ البشـاره ،
فاذا لاح ، سـوف أفضح أسرارى ،
وانقـض فاضـحا أسـراره ،
أضرب السر باليمـين فتلقـاه شمالى
بضربة غـداره ،

ثم انسـل عـارفا مسـتميتا ،
أتبـع السر فى ضمير المحـاره ،
اتبـع السر فى متـاهاته الدنيـا
وأجـلو الخبىء خلف السـتاره ،
فاذا أصـبحت حياتى ، والافـق :
« حـروف » والسر « وحى عباره » ،
ما الذى سـوف أسـتحيل اليـه ؟!
«هاهنا من حصى ٠٠ أجل ٠٠ وحجاره»

« يقف الآن فى جـــلال وصـــمت
بطـل غاص فى ضـمير المحـــاره ،
« فضـح السر فى مكامنه السود ،
فبـــذ الـــكهان والبحـــاره ،
« سوف يبقى تمثاله أبد الدهـر ٠٠
مـــلاذا لشـــعبنـا ومنـــاره ٠ »
آه ٠٠ لا شيء ٠٠ غـير أنى فـــراغ
امتـــلا جوفه حصـا وحجـاره ،
آه ٠٠ لاشيء ٠ ٠ غـــير أنى سراب
خـــدع الشـعب لمحـه واسـتثاره
جاع شـــعبى فلم يجـد غير لفظى ٠٠
آه ٠٠ يغزوه بالرؤى المســـتعاره !!
لن أغنى ٠ ٠ لـن أشرع السـيف
لن أقبـع وحدى هنا وراء سـتاره ،
سوف أمضى كما ولدت ٠٠ سأمضى
بشريا ــ أجـــل ــ بغـير ســـتاره
فى الطريق الذى يسير عليه الناس ،
أمضى ٠ ٠ ٠ وفى جبينى بشـاره :
« طهـــروا الارض م الحصى والحجـاره
طهـــروا الارض م الحصى والحجـاره »

ويطل صاحبنا فى عيون حسنائه الشعرية هذه، التى تركها وترك بها الشعر كله منذ مايقرب من عشرين عاماً ، ويتأمل خطواته طوال هذه السنوات ٠

لقد تغرب عن شعر الكلمات الى شعر الواقع· فماذا فعل ؟ ماذا استطاع أن يفعل ؟ هل استطاع ان يكتشف المراتع الغنية ، هل استطاع أن يفجر فيه شعره الخبىء ؟ هل استطاع أن يجعل من حلم الشعر واقعا متحققا فى الحياة ، فى حياته وحياة الناس من حوله ؟

ما أشقى أحلام الشعر والشاعر عندما تصبح جهدا عمليا ينسج الواقع على منوالها ··

ماأقسى صناعة شعر الحياة والواقع ، صناعة السعادة والعدالة والمحبة والحرية · بالعمل · وما أمجده شعرا !

ولكن ، هل يغنى شعر الواقع الزاخر بالظل والضلال والتناقض والاشواك والخشونة والجراح عن يقين شعر الكلمات ونقاوته ؟

هل يغنى السعى الى تحقيق الحلم فى الواقع، على الحلم المحلق فى الآفاق ؟

هل يغنى التحليق عن التحقيق ، وهل يغنى التحقيق عن التحليق ؟

لا ··· وانما تحتدم بينهما المأساه ·

وبين التحليق والتحقيق يقف صاحبنا بعد

عشرين عاما ، يمزقه الشوق الملح الى الشعر الذى كان ، والشعر الذى لم يكن بعد ، يمزقه اليقين الذى مات فى شعر الكلمات ، ولم يتكامل بعد فى خشونة شعر الواقع ·

على أن عزاءه أن الحلم الذى كان ، والحلم الذى لم يكن بعد ، مازالا فى قلبه شوقا مجاهدا فى معارج الوصول ·

الاخبار : ٩ ديسمبر ١٩٦٩

اللامعقول منذ عشرين عاما

كلما قرأت مايكتب فى هـذه الايام كثيرا عن اللامعقول ، والموت ، والميتافيزيقا ، والغربة ،٠٠ عادت بى النفس الى ذكريات رحلة فكرية قديمـة فى قلب هذه المعانى ٠

وكلما كتبت فى هذه الايام كذلك مختلفا مـع هذه المعانى جميعا ، أحسست أننى لاأختلف مع القائلين بها فحسب ، وانمـا اختلف كـذلك مع نفسى ، منذ عشرين عاما ،

ولهـذا فبرغم هذا الخـلاف فما أكثر مايثـير فى النفس من مشاعر الألفة والحنان والحنين !

ومنذ أيام كنت أقلب فى أوراقى القديمة، فعثرت على محاضرة كنت ألقيتها فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ فى الجمعية الفلسفية بكلية الآداب جامعة القاهرة ـ فؤاد فى ذلك الوقت ـ عنوانها « اللامعقول فى الطبيعة والفن» ؟

وتذكرت أننى ماانتهيت من القاء تلك المحاضرة خروجا عن قواعد اللامعقول !
المسـئول عن الجمعيـة ــ وهو اليوم الاسـتاذ الدكتور كمال دسوقى يعتذر للحاضرين فى لباقة عن تلك المحاضرة الجافة الغامضة ٠
وما كان هذا الامر يعنينى فى ذلـك الوقت ٠ بل لعله كان جزءا من تجربة اللامعقول نفسـها ! لقد خرجت من المحاضرة مـع طائفة محـدودة من الاصدقاء لنواصل ممارسة اللامعقول فى حياتنا ، فى شعرنا ، فى قصصنا ، فى تجاربنا الحية ٠ ان تأمل اللامعقول ، ودراسته دراسة تحليلية عملية خيانة ! هكذا كنا نقول !فاللامعقول ليس موضوعا للبحث والدراسة ٠٠ وانما هو موضوع للحيـاة والمعايشـة ٠٠٠ وكانت المحـاضرة ، حتى وقف الزميل الصديق ٠

وفى هذه المحاضرة لم أقف لأحلل اللامعقـول فحسب ، وانما وقفت أمجده ، فبحسب ماجاء فى المحاضرة : اللامعقول هو كل مايرفض فى الوجود الخضوع والانصياع لقوانين العقل المنطقية ٠
ولهذا رحت فى المحاضرة أقول : «اذا كنانمجد دائما ٠٠ هؤلاء الأبطـال الذين يقـاومون كل استبداد فلا شك اننا سنمجد هذا الكائنالعجيب الذى ظل وسيظل أبدا يقاوم أعظم طغيان لأقـوى

قوة فى الوجود ـ وأعنى بها العقل ـ واذا كنا نعتبر أبطالنا الاحرار عباقرة الانسانية ، فلاشك فى أننا سنعتبر هذا الكائن العجيب ، انه حامل لعبقرية الوجود • أما هذا الكائن العجيب فهو اللامعقول الذى تحدى العقل ـ وظل عاريا عن كل عنصر عقلى ، حاملا شعلة التحرر والانطلاق ••»،
ثم أخذت المحاضرة تثبت اللامعقول بآخر نتائج العلم ، بنظرية الكم ، والنظرية النسبية ، والميكانيكا الموجهة ولكنها تنتهى الى تأكيد عجز العلم عن المعرفة ، وأنه لا سبيل الى ادراك اللامعقول الا بالفن ، بل اللامعقول هو الموضوع الاصيل للفن !؟؟

ذلك لان الفن ليس تعقلا ذهنيا وانما هو معايشة، والمعايشة هى السبيل الى معرفة اللامعقول ،

ولم يكن للامعقول فى تلك الايام البعيدة اهتمام أو صدى فى الصحافة أو الحياة الثقافية ، ولكنه كان فى حياة تلك الطائفة من الاصدقاء ، تجربة يومية ،نقتاتها ونتنفسها ونعبر عنها بمختلف الوسائل والأساليب •

كنا طائفة من الاصدقاء تتفاوت الروابط الفكرية والعاطفية بيننا • وكان واسطة العقد هو الصديق والمفكر والأديب الموهوب «بدر الديب» الذى أعجب

كيف لم يتبوأ حتى اليوم مكان الصدارة فى حياتنا الثقافيــة !؟ وما اجدره بها وكان من بين هــؤلاء الاصدقاء يوسف الشارونى وعباس أحمــد وبهيج نصار وتوفيق حنا ومحمد جعفر ومصطفى سويف ٠

وكنا فى الحقيقة نمثل أجنحة ثلاثة :

الجناح المتطرف فى اتجاه اللامعقول وكان يمثله بدر وتوفيق ٠ والجناح المتعقل المتجــه الى العــلم وكان يمثله يوســف وجعفر وسويف ، والجناح المتوسط وكان يمثله عباس وبهيج وأنا ، اذ كنا نتراوح بين هذا الاتجاه وذلك ، ونجمع بين التأمل العقلى والشطح الصــوفى والاهتمام بالتجــارب والخبرات العملية ! وكنا جميعا نعبر عن تجاربنا ومجاهداتنا الفــكرية بالشعر والقصــــة والمقالة والبحث العلمى وفى كثير من الاحيــان بالتسكع طول الليل فى شوارع القاهرة ، فى حالة قصوى من الوجد والتوتر والصهللة الفكرية ٠

كنا فى الحقيقة نبحث وجدانيا عن مغامرة كونية كبرى ٠ كانت فى ضمائرنا معركة حادة على نطاق الكون كله ، والحضــارة كلهــا ٠ كنا نبحث عن اجابات نهائية عن كل شىء ٠ وكانت الفلســــفة والمعاناة الوجدانية وسيلتنا فى رحلة البحث عن يقين ؟ وما أكثر ماتشردنا ، وتنكبت بنا الطرق ،

وسدت أمامنا السبل ، وامتلأت حلوقنا بالمرارة، ونفوسنا بالعجز وعقـولنا بالذهول وضمائرنا بالتخبط والحيرة ـكنا نريد ـ كما علمنا نيتشه ـ أن نبعث بسفائننا الى البحار المجهولة ، وأن نبني بيوتنا فوق قمة بركان فيزوف ، وننتظر اللحظة المناسبة لكي نموت ! كنا فرسان ليل نبحث في غمرته عن المستحيل ٠ وكان القمر أمامنا في كثير من الاحيان نحس به يتحدى قدرتنا على الصعود والصمود !

وكان المعجز والملغز والغامض والرهيب والبشع والمخيف في كل شيء يدعونا ويلح في الدعوة وفي الاغراء والاغواء ! وكان بعضنا يعب من كل مايمكن أن يبلغ به مرتبة المحو ٠٠ أجل المحو ؟ أن نمحو ذلك ـ على طريقة المتصوفة ـ بالفكر ، بالتأمل ، بالوجد ، بالمغامرة ، بأردأ أنواع الخمر ٠٠ حتى نصل الى الكنز الغريب في نهاية المطاف ! وكان بعضنا يتطلع الى بناء حضارة العلم والاشتراكية، وبعضنا يتطلع الى بنـاء تلك الحضـارة الجديدة السحرية الذى أخذ يبشر بها شبينجلر ـ في لغتنا العربية ـ على لسان الدكتور عبد الرحمن بدوى ٠ وكان بعضنا يسعى لارساء أخلاق السـادة التى بشر بها نيتشه ، وبعضنا يسعى الى بناء القلعة التى لم يستطع كافكا بلوغها في روايته «القلعة» وكنا

نمرض حتى الموت مع كيركجور ، ونرفض أن نقول معه أن الشيء اما كذا واما كذا ، وكلاهما ناقص وكنا نقول ، أو البعض منا يقول : .. الشيء ليس بكذا ولا بكذا ، ولا هو بأى شيء آخر .... أى لا خلاص ، ولا مهـرب ولا أمـل ، لا بالحب ولا بالموت ! لاخلاص بغير احتضان المستحيل احتضان اللامعقول ، لا خلاص بغير اليأس المطلق المطبق !

كان كيركجور ، ونيتشه ، وكافكا ، وبيرجسون ودوستويفسكى ، طلائعنا الى .. الى أين ؟

لانعرف الى أين ولا كيف ولا حيث ، بل حركة انتحارية ، بل فعل عشوائى نبحث به عن الحقيقة ، عن طريق معايشة أى شيء ، عن طريق رفض العقل والعلم والمنطق ! لقد حكمنا ذات يوم على عبد الرحمن بدوى بالخيانة الفكرية للوجودية عندما خرج علينا بكتابه عن الزمان الوجودى ، فوجدنا محاولة من جانبه لصب التجربة الوجودية فى نظم وقوالب ومقولات ! وذهبنا اليه فى وضح النهار ، عباس وأنا لنحاكمه ، لندينه ، فى عقر داره ! وكنا فى حال من الوجد والتوتر والثورة ، لاتصلح بها مقابلة أو مناقشة أو محاكمة ! ومن حسن حظه ، أو من حسن حظنا أنه لم يكن فى بيته ، حينئذ

وبمثل هذا الحماس المحموم راح «بدر الديب» يكتب «حرف الحاء» مجموعة من الشعر السحرى ،

ويصوغ فيها المعانى من موسيقى العلاقات اللفظية المستحدثة ، ومن الغوص فى أعماق نفسه • وراح يوسف الشارونى بالقصة ، والشعر المنثور وبأنغام وأدوات بعضها مستلهم من طاغور وكافكا والتوراه والانجيل ، يعبر عن رؤية اجتماعية رمزية معا، فيها احتجاج وسخرية وتطلع • وراح «عباس أحمد» بقصته الكبيرة «البير وغطاه» وبعشرات القصص القصيرة ، يصنع عالما سحريا آخر تغمره الفانتازيا والذهول • وراح «بهيج نصار» يصوغ عالما قصصيا مستخدما معمارا ميكانيكيا غريبا شديد الغرابة . ليقول به للناس بينكم وبين الحقيقة شعرة واحدة أو ملايين الفراسخ !

أما توفيق حنا فرفض أن يكتب وأن ينقطع عن الغناء ! أما جعفر وسويف فكان البحث العلمى سبيلهما الى اليقين والخلاص • ورحت أبحث بالشعر عن الوضوح •

وفى هذه الايام كان يوسف وجعفر وسويف أكثرنا نضجا من الناحية الاجتماعية والسياسية وكنت أنا أتمزق بين واقع سياسى وطنى أشارك فيه فى الصباح • وواقع فكرى متناقض يأخذ على نفسى بقية اليوم • فى الصباح كنت أشارك فى تمزيق صور الملك ، وتحطيم شعلته ومرتيها

والرقص حولها أمام سور الجامعة ، والخروج في المظاهرات وأومن بالجانب الاقتصادى من النظرية العلمية ، ولكن في المساء أعود الى الميتافيزيقا وأسخر من الجانب الفلسفى من النظرية العلمية وأبحث عن الخلاص والوضوح فى المطلق اللامعقول والوجدان الصوفى !

ثم مرت الايام .. وانقضى عشرون عاما ، على رحلة فكرية طويلة ومعقدة، زاخرة بالمعاناة والتجارب والمواقف المتنوعة ، أقف في نهايتها لادافع بحياتى عن العقل والعلم والتقدم الاجتماعى فى مواجهة كل من يقول باللامعقول وميتافيزيقا اليأس والموت والضياع ، وأحس وأنا أقول لهم لا ... اننى كنت مثلهم ذات يوم أقول : نعم ، للضياع والميتافيزيقا واللامعقول ، وأجد فيها خلاصا لأزمة الحيـــاة ، وموضوعا للفن ، بل ومجدا للوجود نفسه !

واذا كنت اليوم أقسو على هذا الفكر وأرفضه ، فاننى فى الحقيقة ، أقسو وأرفض تاريخا هو جزء عزيز منى ، ماتزال له فى النفس أصداء ورؤى .

ماأجدر هـــذا التاريخ القديم أن يكتب ، وأن تذاع تجربته عـــلى الناس بتفاصـــيلها المتنوعـة الغنية .

لقد كتب الصديق يوسف الشارونى جانبا من

هذا التاريخ فى كتاب ينتظر المطبعة منـذ عـدة أشهر ٠ وأرجو أن يستكمل جوانبه المختلفة كل من شارك فى صياغته ، فلعله يكون مصـدرا من مصادر الحركة الادبية الراهنة ! ٠

المصور : ٢١ اغسطس ١٩٦٤

لقد صدر كتاب الاستاذ يوسف الشارونى بعد أشهر من نشر هذه المقالـة ٠ والغريب أن يتنكر الكتاب لبعض الحقائق والوقائع ، فيغفل أسـماء ويغفل مواقف أو يتنكر لاصـحابها ٠ وأنا أعرف الصدق الذى يمتلئ به ضمير الصديق يوسـف الشارونى ، ولكن أعرف كذلك أن بعض الملابسات السياسية والاجتماعية المعقدة فى حياتنا تجـرد الصدق أحيانا عند بعض الناس من روح الشجاعة وتغشيه بعكارة من التحفظ والتخوف الذى يفقـد الصدق شموله ونصاعته ٠٠

النقد والعمل والتجدد

ماأكثر النقاد فى حياتنـــا هـــذه الايام .. وما أقلهم .

والنقد وظيفة اجتماعية اساسية ، بل ضرورة صحية تمثل النبض الحقيقى لقلب المجتمع . بغير النقد لانستبصر حقيقتنا ، ولا نواجه مشكلاتنـا ولانحسن مواصلة طريقنا الاجتماعى . عـــلى ان النقد ليس كلمة « لا » السهلة ، نلقيها بالعاطفـة والانفعال فى أغلب الاحيان دون دراسة أو تعمق بل النقد هو كلمة « لا » صادرة عن معرفة بأسباب الموضوع متجهة الى حلولها الموضوعية كذلك .

ماأسهل أن نرتقى منبر الحكم على اعمال الناس ولكن ماأصعب أن ننزل الى هذه الاعمال بالتعرف والمشاركة .

وما اكثر الاحكام النقدية التى تصوغها لنـــا خبرة قاصرة ، أو انفعال متسرع أو معرفـــة غير ناضجة أو نظرة جزئية ، أو تعال سلبى أو مصلحة

خاصة ٠ على أن النقد مسئولية اجتماعية ينبغى أن نحسن ممارستها بجدية وموضوعية وشجاعة ٠ انه جزء من ممارســـتنا اليومية لواجباتنـــا الاجتماعية ٠

ولهذا فالنقد الحقيقى النافع هو مايصـــدر من واقع العمل والمسئولية والخبرة والمعرفة لا مايصدر من نوادى الثرثرة ، ومقاهى البطالة ، ومقاعـــد التأمل المترف ٠

والنقد الصادر من عمل ٠٠ لايقف بك عنـــد حـــدود العيوب والنواقص ، بل يتقصى مـــعك أسبابها الموضوعية ، ويمضى معك بحثا عن علاج ملائم لها ٠ أما النقد الصادر من فراغ أو عاطفـة فلا يبصر غير العيوب والنواقص ، ويعجز عـــن معرفة أسبابها الحقيقية ٠ بل يعجز عن تشخيص هذه العيوب والنواقص تشخيصا موضـــوعيا ، ويعجز بالضرورة عن اكتشاف الحلول الملائمة لها ، فيكتفى بالسباب أو يتعلق بالاوهام ٠

العمل المسئول هو المدرسة الحقيقية المنقـــد المسئول كذلك ٠ بل العمل الانســـانى عامة اذا ارتفعت كفاءته النظـرية ، أصـــبح نقدا ٠٠ نقدا عمليا ٠ لانه مساهمة فى التعرف على المشكلات ، واكتشـــاف أسبابها ، والبحث عـن حلول لها ٠

واختيار هذه الحلول **بالعمل** ، **ذلك أن النقد في حقيقته وعي** واكتشاف **وعمل** واثراء دائم للتجربة **الانسانية** .

مأحوج حياتنـا الاجتماعية الى هـذا المستوى **الرفيع من النقد** الذى يمزج **المعرفة** الموضوعيـــة **العميقة** بالقدرة على العمل والابداع والتجدد .

الاخبار : ١٩ أغسطس ١٩٦٨

محو الأميـــة ••
معركة سياسية جماهيرية

الامية ماتزال مستشرية فى مجتمعنا ، ماتزال ثغرة كبيرة فى بناء حياتنا الداخلية ، تتسلل منها عوامل الضعف والتخلف وليس غريبا أن نتحدث عن معركة محو الامية ، ونحن نحشد كل طاقاتنـا من اجل معركة تحرير أرضنا المحتلة •

بل الغريب أن نتحدث عن تحرير الارض المحتلة وحشد الجماهير من أجل هذه المعركة ، ولا نتحدث كذلك عن حشد الطاقات وتنظيمها لازالة هذا العار من جبيننا الاجتماعى الذى يضعف من فاعليتنـا الاجتماعية عامة •

بل الغريب أن نتحدث عن الدولة العلميـــــة والعصرية ، ومحو الامية مايزال مرحـلة أولى من مراحل الوصول الى هذه الغاية •

ان معركة تحرير الارض ــ كما ندرك جميعا ــ ليست معركة عسكرية فحسب ، بل هى معركـة اجتماعية شاملة كذلك ، نخوضها بكل مانملك من

طاقة وجهد وكفاءة ، وننتصر فيها بمقدار مانملك من طاقة وجهد وكفاءة .

ولا شك ان قدرتنا على الانتصار فى المعارك الصغيرة ، هى أمتحان لقدرتنا على الانتصار فى المعارك الكبيرة .

والامية ليست بالامر الهين فى حياتنا . ليست مجرد جهل بحروف الهجاء .

فخلال المعركة الانتخابية التى خضناها جميعا من اجل تشكيل أعلى سلطة سياسية لدولتنا ومجتمعنا ، تقود معركة المصير كانت الامية احدى الثغرات التى تسللت منها القوى المتخلفة ، وتمكنت بها من الوصول الى مستويات قيادية فى تنظيمنا السياسى .

وفى الخطة الانتاجية العامة ، تمثل الامية كذلك ثغرة من ثغرات التخلف فى التوعية ، والتدريب وتنمية الكفاية الانتاجية .

وفى حياتنا الاجتماعية العامة ، تمثل الامية ثغرة تتسلل منها مختلف القيم الفاسدة والمفاهيم العقيمة والعادات البالية .

الامية فى الحقيقة خلل فى بناء حياتنا الاجتماعية وثغرة فى الابنية السياسية والديمقراطية

والانتاجية والثقافية فى بلادنا ، فضلا عن أنهــا تخلف حضارى غير لائق بانسان النصف الثانى من القرن العشرين ٠

والغريب أن فى بلادنا أكثر من جهد لمحــو الامية ولكنها جميعا خطط وجهود متفرقة لاترابط ولاتنسيق بينها ٠

هناك خطة فى وزارة التربية والتعليم ، وهناك خطة فى التليفزيون ، وهناك جهود متعددة بذلتها وحـدات الاتحاد الاشـــتراكى خلال الســنوات الماضية ٠

على أن محو الامية لايمكن ان يتحقق بغير تضافر الجهود جميعا والتنسيق بينها ، فى اطار عمــل جماهيرى شعبى ٠

أن محو الامية ليس عملية تعليمية ، ولن يتحقق أبدا عن هذا السبيل الا عبر سنوات وسنوات ٠ ولكنه معركة نضالية ، تتجاوز حدود الاجراءات الادارية ، والوسائل التربوية التقليدية ٠

انه عملية سياسية جماهيرية ، تشارك فيهـا مختلف الاجهزة الاعلامية والثقافية والتعليمية ، ومختلف الطاقات الشعبية بالتطوع والمبادرة ٠
وما أكثر التجارب العالمية التى نجحت فى محــو

الامية فى مجتمعاتها فى أشهر معدودات بالعمـل السياسى الدؤوب المنظم ٠

وماأكثر الطاقات المعطلة فى بلادنا ، التىيمكن حشدها فىهذه المعركة ، وما اكثر الكفاءات الشابة التى تتوق الى خوض هذه المعركة ٠

القضية هى قضـــية تخطيط وحشـــد وتنظيم ومتابعة ٠ وهى من القضايا الاساسية التى ينبغى ان يوليها تنظيمنا السياسى كل عناية فى تشكيله الديمقراطى الجديد ٠

ان نجاحه فى الحشد المنظم لهذه المعركة ، هو جزء من واجباتنا الاساســية لحشــد الجماهير وتعبئتها دعما للجبهة الداخلية ، ودفعا لعجلةالبناء وارتفاعا بمستوىالوعىومساندةلجيشنا العسكرى فى معركة تحرير الارض المحتلة ٠

اخبار اليوم : ١٩٦٨/٧/٢٧

الفن ‥ والمعاناة

كتب الى من أقاصى الصعيد ، يقول :

اقرأ هذه القصة ، واكتب لى برأيك ٠

وقرأت قصته ، وامتلأت اعجابا بها ٠ وسارعت الى الكتابة عنها ، مشيدا بالموهبة فى كاتبها متوقعا منه الكثير اللامع ٠

ومنذ مايقرب من شهر ، طرق بابى لا يحمل لى هذه المرة قصة كتبها ، وانما يحمل لى قصة حياته نفسها ٠

احسست أنه ماتجاوز العشرين من عمره بل لعله مازال عند عتبتها الاولى ٠

ولكنى ابصرت فى عينيه سنوات لاحد لها من العذاب والارهاق والحلم والجسارة ٠

قال لى : انه يعمل كاتب حسابات بسيطا لدى أحد رجال الاعمال ٠ وقال لى ان تعليمه وقف به عند المرحلة المتوسطة ، ووقفت به الحياة كلها كذلك فى بلدته النائية ‥ لهذا قرر ان يهاجر الى القاهرة

بحثا عن عمل جـــديد ، وبحثا عن رؤية جـديدة لقصصه .

وقال لى انه كان يملك مايتيـح له أن يركب القطار عائدا الى بلدته لو فشل فى بحثه ، ولكنـه خلال الاسابيع الماضية آثر أن يغرق كل مراكب العودة ، تماما كما فعل طارق بن زياد أمام شواطىء الاندلس .. فلهذا فليس أمامه الان الا أن يواصل سعيه .. حتى يصل .

قلت له : هل وصلت ؟

قال : أعيش فى غرفة صغيرة فى شبرا الخيمة أتركها فى الصباح باحثا عن عمـــل فى اطـراف القاهرة كلها .. وأعـود اليها مع أخـريات الليل مجهدا بغير جدوى .

قلت له ـ كأنما أمتحنــه : اذن ســـتعود الى بلدتك ؟

قال : لا .. لن أعـود .. مهما حـدث . .

لا هربا من بلدتى ، بل اصرارا على الوصول الى ماأريد .

قلت : ماذا تريد ؟

قال : أن اكتب .. أن أكتب .. أن أعرف .. أن أعرف .

قلت : هل عرفت شيئا ؟

قال : عرفت ماساءنى · من بعيد كانت القاهرة معنى انسانيا كبيرا · ماوجدته عندما اقتربت منها انها مدينة بلا قلب ·· على حد تعبير الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى ··

ثم قال : لقد حرصت الا اطرق بابك الا بعد ان أستقر ·· حتى لاأحملك مسئولية هجرتى ·· ولكن ماذا أفعل ؟ ·· القاهرة تضيق وتضيق رغم اتساعها ·

قلت له معابثا : بدأت تيأس ؟ ·· فقدت القدرة على المواصلة ؟ ·

وازدادت ابتسامة وجهه الذى لايكف أبدا عن الابتسام · وقال لى :

ـ لا ·· بل سأواصل ·

ونازعنى جانبان ·· جانب انسانى ، أن أقف الى جانبه فى محنة بحثه عن عمل ، وجانب فنى شرير ، أن اتركه وحيدا لوحدة البحث تصقل احساسه وتنضج خبرته ·وغالبت الجانب الانسانى دافعا اياه بقسوة لمواصلة الامتحان العسير ·

وتمنيت له التوفيق ، والتقينا على موعد · ثم التقينا بعد اسبوع · الابتسامة ماتزال تملأ وجهه

على أني احسست في وجهه وملابسه وجسده الشاب اثار المسيرة الطويلة الشاقة ٠

قلت له معابثا : لم تصل بعد ؟
قال لى بنفس اللهجة : لم أصل بعد ٠

قلت له : تعود اذن الى بلدتك ؟

فقال : لن أعود الى بلدتى ٠
قلت : ماذا تفعل اذن ٠

قال : أواصل البحث ٠٠ أتعرف ٠٠ ألتقى ٠٠ اقرأ ٠

وسكت قليلا ثم قال مندفعا : لقد تعرفت على اغلب أدباء القاهرة ومثقفيها ٠٠ دعنى أصارحك أنهم بعيدون عن الحياة ، عن الشعب ، عن الحقيقة ، لم تعجبنى أحاديثهم ، لم ترضنى مواقفهم ٠٠ الحياة حولهم تزخر بالحركة ، بالمجاهدة ، بالمحاولة ، بالبذل ، ولكنهم للاسف يتأملونها خلال تحليلاتهم الباردة ، اننى برغم ماعانيه من وحدة ، وعدم استقرار ، أتشمم عطر العمل والنضال حولى ، هنا وهناك ٠٠ أحس بامكانات وطاقات لاحدود لها ٠٠ لم يعد يعنينى أن تكون مدينتكم بلاقلب بالنسبة لى ، ان لها قلبا كبيرا بغير شك ٠٠ بدأت أنصت الى دقاته ٠٠ ولكنهم

لاينصتون ٠٠ ان رمادا ، بل زرقة كالحة تكادتلون نظرتهم الى كل شيء ٠٠ لقد احسست أنا الضائع المجهد أن لدى من البهجة والتفـاؤل أضـعاف مالديهم وهم على أسرة الاستقرار ومقاعد الاسترخاء المريح ٠

أنا حزين من أجلهم ٠٠ حزين من أجل بلدى ٠ من أجل مدينتكم ٠

قلت له : كم بقى في جعبتك ؟

قال : بضعة قروش ٠

قلت له : كيف تأكل ؟ ٠٠ كيف تعيش ؟

قال : مازال لدى قدر من طعام احضرته معى من الصعيد ٠

قلت له : هل كتبت جديدا ؟

قال : لاعرف هل هو جـديد أم لا ٠٠ ولكنى كتبت قصتين صغيرتين عن تجربتى فى القاهرة ٠

قلت : أذن ٠٠ وصلت الى شيء فى القاهرة ؟

وأحببت الانسـان الطيب البسـيط المثابر الشريف في عينيـه الجسـورتين ٠٠ وقلت له محاولا أن أخفى عواطفى : لقد أقمت بقصتيك أول سلمتين لبلوغ ماتريد ٠٠ أن كانتا على شيء ، دعنى اقرأهما أولا ٠

ولم يكن يحمل معه قصتيه ووعدني باحضارهما بعد ان يقوم بمراجعة بعض فقرات فيهما ماتزال في حاجة الى مراجعة ·

وأفترقنا على موعد بعد أيام ·

وقلت لنفسي : سأقرأ قصتيه ، ثم ستكون له مني احدى كلمتين : أما أن أقول له : عد الى بلدك كاتبا للحسابات بها ، أو أقول له : أبق عنا ·· ضائعا مشردا كما أنت · نشق معا بعملك الفنى طريق العمل والحياة والمستقبل ·

ومازلت انتظره في قلق واشفاق وأمل ·

ماأقسى طريق الفن ·

وما أشقى السائرين فيه بجد ·· وما أسعدهم كذلك ··

الاخبار : ٢١ اكتوبر ١٩٦٩

اغسطس ·· أقسى الشهور

فى مطلع قصيدة «الارض الخراب» يقول الشاعر الانجليزى ت · س · اليوت · « ابريل هو أقسى الشهور » · على انى أحس دائما أن أقسى شهور العام فى بلادنا هو شهر أغسطس ·· أقسى الشهور على النفس ، على الفكر ، على حركة الحياة · لعل حرارته المشوبة بالرطوبة هى صانعة هذه القسوة ·

على أن قسوته لاتنتسب الى هذه الحرارة وحدها ·

فقد تستطيع ان تتخلص من هذه الحرارة بطريقة أو اخرى · ومع هذا تظل القسوة تلاحقك ، تحيط بك ، تتصاعد من أغوار جسدك ونفسك ·

انه شهر انتقال وانتظار وترقب · يذكرنى بلحظات المغيب أو لحظات ماقبل الفجر يعانيها ذهن سهران لم ينم ولم يعمل ·

عجلات العمل فى هذا الشهر تمتلىء برمال

الشواطئ الصفراء ، وأجساد الحركة تمشي فوق أرضه لزجة من الملالة والسأم ٠

والاحاسيس الباهتة تطل من أقبية النفس البعيدة ٠ وأبخرة الاشاعات والاقاويل والنكات المسمومة تسد الافق دون النسمات الصحية ٠
والحوار الانساني يتخذ لونا رياضياً خاليا من الحرارة واللمعان ، ويصبح أقرب الى التثاؤب البليد ٠
كل خطايا الماضي وأخطائه ، وكل أخطار المستقبل واحتمالاته الغامضة ، تقبع فوق كراسي الانتظار العاجز القلق وتأخذ في الثرثرة ٠
لهذا أتعجل الخروج من قسوة هذا الشهر وبلادته ، اتعجل نسمات الخريف العظيم في بلادنا،واستحث خطوات النفس والفكر نحو الحركة المتدفقة لشباب شتائنا الدافئ ٠
وعندما أشتبك في حوار عقيم مع بعض الاصدقاء وأجد نفسي معهم نسير في زقاق مقفل ، أقول لهم ضاحكا : أيها السادة ٠٠ أنتم في شهر أغسطس ٠
دعونا ننتقل الى شهر اخر ٠٠ ان حواركم ينبع من هذا الشهر ٠٠ ان مشاعركم تنبع من هذا الشهر ٠٠ ان مجلسكم هذا هو مقعد بليد على رمال هذا الشهر ٠

ورمال هذا الشهر ، ليست هي رمال شواطئه

فحسب ، بل هى رمال مجالسه جميعـا ، نواديه ومقاهيه وسهراته وجلساته عامة ٠

ومااحب أن افسر الامور تفسيرا جغرافيا ، أو مناخيا ٠

ولكن هناك ظاهرة اجتماعية بغير شك مرتبطة بهذا الشهر ٠

لادرى ٠٠ لعله الاستعداد لعام دراسى جديد تطرق فيه الاف الاسر ابواب مسـتقبل مجهول ، يملأ الاحاديث بروح القلق ٠

لعله الاحساس بنهاية مرحلة عملية من العام ، واستعداد لبداية مرحلة عملية أخرى ، يستعيد فيها الانسان ماتحقق له ويطل منها على نصيبـه فى الايام المقبلة المجهولة ٠ لعله شهر الاجازات عن العمل ، والاجازة عـن العمل فى بلادنا ليسـت للاسف تجديدا للنفس ، بقدر ماهى انسلاخ عن العمل ، واحساس بالتخلص منه ٠

ولهذا يكون الحديث فيه حديثا متعاليا بعيـدا عن ايقاع العمل ودفء مسئولياته ٠

لادرى ٠٠ انه على أية حال ، شهر سمج ٠٠ احس فيه بدبيب التساؤلات الغامضة تسرى فى جذور المجتمع ، أكثر مما أحس فيه بدبيب هـذه

الجذور تمتد وتنمو لتتفجر بالخضرة فوق الارض المشرقة .

وأعود فأقول لنفسي : أنت واهم ياصاحبى لقد عممت الحكم . ان الذى تحس به في شهر أغسطس هو احساسك أنت يابن المدينة الكبيرة .. وهو احساس أمثالك من المثقفين أبناء المدن والبنادر الكبيرة .

شهر أغسطس في الحقول والمصانع هو أقسى الشهور بالفعل كماتقول ، لا بالمعنى الذى تقول . معاناة السأم والملالة ، وانما هو أقسى الشهور من حيث معاناة العمل والانتاج .

أغسطس الحقل والمصنع يتفجر بخضرة العمل الانسانى ونضرته . لا وقت هناك للثرثرة فوق رمال التساؤلات الغامضة البليدة .

أما في المدن والبنادر فهو شهر الثقافة الثرثارة غير الملتزمة ، غير المنتجه ، أليس كذلك ياصاحبى؟

وأقول لنفسي : هذا صحيح .
لوساد التنظيم مختلف مشكلاتنا الاجتماعية ، ولو كانت الاجازات تجديدا للنفس بعد عمل نافع واستعدادا لعمل أكثر نفعا ، لا مجرد انسلاخ أو تخلص من عمل ، لما انشغلنا باستنبات القلق

والسأم والتساؤلات الغامضة فوق الرمال الصفراء في شهر أغسطس ٠

ولو التزم مثقفونا التزاما أشـد وعيـا وعمقا ومسئولية بمشكلاتنا الاجتماعية ، لما كان شهر اغسطس ، رغم حرارته المشبعة بالرطوبة ، أقـل حيوية وشبابا من شهر اكتوبر أو شهر يناير ٠

حقا ٠ ان العمل الانسانى هو الذى يصنع معانى **الشهور وعواطفها وقيمها** ، وينسج مناخها كذلك ٠

الاخبار : ١٩ اغسطس ١٩٦٨

صور وحواديت من بيروت

١ — السوق والجبل وعمر فاخوري :

من الطابق السادس من الفندق ، ومع الخيوط الاولى من الفجر ، رحت أطل على البحر المتوسط الراقد أمام بيروت ، وكدت لاأصدق عينى · أهذا هو البحر المتوسط أو هو البحر الميت · كان البحر صفحة راكدة كأنه كتلة هلامية عجوز ، وكان الهواء كذلك طبقات متكاثفة من الفراغ الثقيل وتذكرت اسم رواية لبنانية لم أقرأها « لابحر فى لبنان » ، لعل هذه الرواية لم تقصد الى شيء مما كنت أحس به ولكنى احسست على أى حال بأنه لابحر فى لبنان ·

ورحت أبحث عن نظرية تفسر لى هذه الظاهرة الغريبة ، فى البداية انشغلت بالبحث عن تفسير جغرافى ، هل هو موقع لبنان ، هل هو الجبل الاشم الذى يصد الرياح ، ولكنى سرعان مافقدت

الاهتمام بالبحث عن الاسباب الجغرافية ، ورحت أفتش عن اسباب أخرى غير جغرافية ٠

لم أكن أنتوى أن أقوم بدراسة علمية للبنان ، بل كنت أسعى للتعرف عليها بالاحساس والتأمل، وعندما هبطت الى الشارع ورحت أسير بمحاذاة البحر الراكد ، أبصرت من بعيد موجة مرتفعـــة بالغة الارتفاع ، لم تكن موجة من مياه وزبد ، بل كانت أسطولا حربيا ٠ وكنت أعرف أن الاســطول الامريكى السادس يقبع على شاطىء بيروت ٠ على انى عندما رأيته أصبحت معرفتى شعورا غريبـا يمتزج فيه الضيق بالغضب بالرغبة الغامضـــة فى أن أفعل شيئا ٠

وأحسست ببحر لبنان ساكنا تحت هذهالموجة الامريكية العالية ٠ بل رأيت الموجة تتكسر عـلى شاطىء بيروت فيندفع خمسة آلاف جندى يغوصون فى بيروت ويغوصـــون ، يبعثرون النقود والمتع والمشاجرات ٠ على أنى رأيت الموجة العالية تتكسر كذلك فى أكثر من شىء اخر ٠

قرأتها فى كلمات مطبوعة فى جرائد ومجلات وكتب،كمارايتها فىمواقفسياسية واجتماعيةهنا وهناك ٠

لقد كنت أطل على بحر راكد ، ولكنى أعيش

فوق أرض تضطرب بالامواج المتكسرة ٠

ورحت أبحث عن طريقي فوق الارض بصعوبة بالغه ٠ عندما كنت أقرأ الصحف في الصباح كان رأسي يدور ، موجات متلاحقة هادرة ٠ الافكار والمواقف والقيم من أقصى يسار اليسار الى اقصى يمين اليمين ٠ ارادة الثورة وارادة الخيانة تسيران في حرية مطلقة في جرائد بيروت وفي شوارعها ٠ على أني كنت أدرك انهما لاتملكان نفس القدر من الحرية ، عندما تسعى كل منهما الى ان تترجم ذاتها الى عمل ! ٠

ان الموجة العالية المتفردة فوق البحر الراكد كانت تشد ميزان الحياة والسوق والافكار السياسية الى جانبها ٠

وكدت أقول أن الجبل كان يسعى ليخلص نفسه من هذا كله بالارتفاع الشاهق والقمة البعيدة ، ولقد احسست بالجبل في كثير من الادباء والمفكرين محاولة للخروج من متناقضات هذا الواقع المعقد ٠ أحسست به رغبة في الصفاء المطلق فوق القمة ٠

بعيدا عن التعقيد المطلق عند السفح ٠٠ احسست به ارادة غربة داخل النفس بدلا من تلك الغربة التي يعانيها الانسان عندما يهبط الى سوق بيروت ٠

ففى أسفل الجبل الاشم ، تجرى سوق بيروت. تمتلىء من كل شيء وتفرغ من كل شيء . تجارة بكل شيء ، وبغير قيمة محددة . ان القيمة تصنعها القدرة على المساومة .

ساوم تكسب . من يساوم أكثر يكسب أكثر . لاحوار فى السوق بين الانسان والانسان . بل مزايدات ومناقصات ومساومات . انه حوار بين الانسان والتاجر . ولاحوار فى الجبل الاشم بين الانسان والانسان . ولكنه حديث باطنى ميتافيزيقى بين الانسان ونفسه .

وبين مزايدات السوق ، ومونولوج الجبل رحت أبحث عن الحوار الانسانى فى بيروت . بين غربة السفح وغربة القمة رحت أبحث عن الوجود اللبنانى الاصيل .

وكان عمر فاخورى هو نقطة البداية .

لقد ذهبت الى بيروت لاشترك فى مهرجان ، نظمته مجلة الطريق احتفالا بمرور عشرين عاما على وفاته . على انى أحسست أن مهرجان عمر فاخورى هو مهرجان للبنان الجديد ، لبنان الحوار الانسانى ، ولبنان الوجود الاصيل .

فلم يكن المهرجان احتفالا بذكرى عمر فاخورى بقدر ماكان احتفالا بانتصار كثير من المعانى الجديدة فى حياة لبنان ، بل فى الحياة العربية كلها .

وفى الـــرابع والعشرين من أبريل المـاضى ، أحتشدت قاعة سينما بيبلوس فى بيروت بالاف المواطنين من مختلف الطوائف الشعبية ٠ وارتفعت راية الارز حول ابتسامة عمر فاخورى الحفيـــة السخية ٠ ووقف ممثل الدولة الرســـمى وزير التربية والتعليم نائبا عن رئيس الجمهورية يعلـــن افتتاح المهرجان ، ثم تعاقب المتكلمون من مختلف البلاد العربية ، ومن مختلف الاتجاهات الفكرية، يرسمون ملامح عمر فاخورى الادبيـــة والنضالية ، ويحددون مكانها من حياتنا الثقافية الحديثة ٠

ولعل عمر فاخورى ألا يكون من هذه الاسماء اللامعة فى ثقافتنا ، بل ماأقل مايعرفه المثقفون فى بلادنا خاصة ، وما اندر أن تجد من سمع باسمه أو قرا له ٠ وما اندر ان تجـــد هو الرمز الحى للمثقف العربى الثورى ٠ انه ابن مخلص للبنان ،

ولشعب لبنان ، وهو ابن مخلص للامة العربيـــة كلها ، وهو ابن مخلص لقضايا الانسان فى كل مكان . كانت حياته وكان ادبه مشاركة فعالة فى انتصار معانى التقدم والديمقراطية والسلام ، نزل بأدبه الى السوق ، لاليسف بالادب ، بل ليمزجه بحياة الشعب ويملأه بالصدق والحرارة ويجعل منه صورة خلاقة للواقع الانسانى الحى ، يعبر عنه ويدافع عن قضاياه ٠ ولهذا حارب عمر فاخورى

الانعزالية فى الادب أو البرج العاجى وسخـر من هؤلاء الادباء الذين يحجبون انفسهم بعيـــدا فى القمم الباردة ، والقماقم الموصدة ٠

وما اكتفى عمر فاخورى بالسخرية بالانعزال ، بل شارك مشاركة ايجابية فى محاربة كل مايراه باطلا وشرا ٠

لقد وقف فى معسكر الانسان يحارب كـــل الاتجاهات المعادية للانسان ، حارب الطائفيـــة وحارب العنصرية ، وحارب الاستعمار والاستبداد والاستغلال ٠ وكانت قصة حياتهوقصة أدبه وقصة فكره ، هى قصة نضال متصل ٠

ولهذا كان الاحتفال به فى بيروت فى هذهالايام بالذات احتفالا له دلالته ٠ لقد امتزجت القضايا الادبية بالقضايا الفكرية بالقضـــايا السياســية والنضالية امتزاجا حميما ٠ وماكان من الممكن فى الاحتفال بعمر فاخورى الا ان يتم هذا الامتزاج ٠ انه معنى من معانى عمر فاخورى نفسه ٠ ولم يكن الاحتفال فى الحقيقة احتفالا بذكرى عمر فاخورى ، وانما كان احتفالا بالمعانى التى يمثلها أدب عمـر فاخورى ، بل كان الاحتفال فى الحقيقـــة احتفالا بانتصار هذه المعانى وسيادتها فى حياتنا الثقافية المعاصرة ٠ كان احتفالا بالمثقف الثـورى ، احتفالا

بالتزام الاديب بهموم أمته ، احتفالا بوحدة الثقافة العربية وبمضمونها التقدمي الديمقراطي ·

وعلى الرغم من تنوع الكلمات في هذا المهرجان، فلقد كانت هذه المعاني هي القسمة المشتركة بينها جميعا · كانت كلمة وزير التربية الوطنية الاستاذ فؤاد بطرس ، الممثل لرئيس الجمهورية اشادة بالتزام عمر فاخوري بالموضوعات التي شغلت بيئته وزمانه ، ثم كانت كلمة الناقد اللبناني حسين مروة بعد ذلك ، تحليلا لفكر عمر فاخوري ، حول الدلالة الاجتماعية للاديب والفن ودورها في التغيير الاجتماعي · ولعل أهم مافي كلمة الاستاذ حسين مروة هو دعوته في نهايتها الى ان يتبوأ أدب عمر فاخوري مكانه اللائق في برامج الدراسة في المدارس الثانوية وفي الجامعات · وما اجدر دعوة الاستاذ حسين مروة الا تقتصر على لبنان فحسب ، بل تمتد الى الوطن العربي كله · وما اجدرنا هنا في مصر أن نحتفل بآثار عمر فاخوري ، وان نتخذ منها نماذج للدراسة الادبية والتذوق الادبي ومادة للبحث العلمي في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا ·

وتتوالى بعد ذلك الكلمات ، قصيدة من سوريا بالغة الحماس يلقيها الاستاذ محمد كامل الصالح، وقصيدة من العراق بالغة العمق يلقيها الاستاذ بلند الحيدري ، وكلمة باسم منظمة التحرير

الفلسطينية زاخرة بالحرارة يلقيها الاستاذ معين بسيسو ، وكلمة باسم الاتحاد السوفيتى يلقيها الاديب اناتولى بوتشاروف ، وتترجمها الى عربية رائقة المستعربة لينا ستيبانوفا ، ويشيد الاديب السوفيتى بصمود عمر فاخورى للعواصف وخروجه من البرج العاجى وارتفاع صوته فى الايام العصيبة اثناء الحرب العالمية الثانية متنبئا بهزيمة الفاشية والنازية ٠

ثم يتوالى بعد ذلك أدباء لبنان ٠

فتحدث الدكتور أنطوان غطاس كرم حديثا بالغ العمق والصدق والاناقة عن حياة عمر فاخورى وعن ادبه ، تابع فيه حركته الفكرية والنضالية متابعة مستأنية أمينة ثم تلاه الدكتور عمر فروخ ، فقام بتقييم أدب فاخورى فى اطار التراث العربى ثم تلاه الاستاذ عبد لحود فأبرز الطابع النضالى لادب عمر فاخورى ، مؤكدا أن هذا الطابع النضالى لم يكن على حساب الادب نفسه لانه كان نابعا عن اقتناع وصدق٠ ثم اختتم المهرجان بكلمة من الاستاذ أحمد سويد فدافع عن ارتباط الكلمة بالنضال السياسى ٠

وكانت لى كلمة خلال المهرجان حرصت فى نهايتها أن أدعو الى اتخاذ هذا المهرجان نقطة انطلاق

لتدعيم وحدة المثقفين العرب على أساس من الالتزام بقضايا أمتهم العربية ، والالتحام بمعاركها الوطنية والاجتماعية والقومية ٠

ولم تكن قيمة هذا المهرجان فى كلماته فحسب، بل فى هذا الاطار المهيب الذى جمع بين الرعاية الرسمية والاحتشاد الشعبى ٠ لقدكان فى الحقيقة مظاهرة ثقافيةوقومية وديمقراطية ترتعش بالحماس والحرارة والجدية ٠

كان المهرجان انتصارا على مزايدات الســـوق وعلى غربة القمم المتعالية ٠

لقد أحسست فيه بلبنان وجودا أصيلا وحوارا انسانيا بالغ الرفعة ٠ وأحسست فيه بشىء يتحقق ويتخلق فى لبنان ، أحسســـــت فيه بلقاء ثورى حميم ، وطريق ممتد ٠

وخرجت من المهرجان أواصل طريق المعرفـــة والمحبة فى قلب بيروت ٠

المصور : ٦ مايو « ايار » ١٩٦٦

مؤلفات عمر فاخوري

كيف ينهض العرب

آراء أناتول فرانس « مترجم »

آراء غربية في مسائل شرقية «مترجم»

مهاتما غاندى

رومان رولان « مترجم »

الباب الموصود

الفصول الاربعة

لا هوادة

اديب في السوق

الحقيقة اللبنانية

الاتحاد السوفيتى حجر الزاويه

جولة بين حوانيت الفن والأدب

لااريد هذه المرة أن أتحدث عن شيء محدد في بيروت • وانما أريد ان اتسكع ، ان اثرثر ، ان اعبر عن بعض الانطباعات السريعة •

لن أطوف بالحوانيت والاسواق ومسارح السياسة ، وانما سأطوف ببعض الاصدقاء •

وسأبدأ حديثى من حيث انتهيت فى المقال الماضي • سأبدأ بفيروز والاخوين رحبانى •

وأكاد أعلن اننى لن اتوقف أبدا عن الحديث عن البيت الرحبانى وسيشفع لى دائما أننى لهذا الحديث انما اطل على مستقبل الغناء العربى كله ، ومستقبل الموسيقى العربية كلها •

ولم يكن هذا هو لقائى الاول بالبيت الرحباني، لقد سعدت بهذا اللقاء منذ عشر سنوات • وشتان مابين اللقاءين ففى عام ١٩٥٦ جلست فى هذا البيت أستمتع بفجر جديد للاغنية العربية ، وفى هذا العام جلست أستمتع بفجر جديد للمسرحية الغنائية ، للاوبرا العربية • وكنت فى عام ١٩٥٦

أدرك مدى الجهد الذى يبذله آل هذا البيت لاستيعاب التراث الشعبى ، لامتلاك اسرار التعبير الموسيقى . وفى هذا العام ، رحت استمتع بكنوز فنيــة هى حصاد عبقرى لهذا الجهد وهذا الاستيعاب .

جلست فى البيت الرحبانى تحت خيمة مــن الالحان . كانت فيروز تتحرك فى البيت ، قامــة منتصبة ، وايقاعا منتظما ، ووجها شــفافا ترف ملامحه الهادئة بالمودة والوداعة والصدق . كانت تتحرك أمامنا فى ثوب الزوجة والام وربة البيت . تطوف علينا بالاطباق الشهية ، ولكن صوت الفنانة كان يفيض علينا من جهاز قريب يملأ نفوســنا باطباق اشد سخاء وغنى .

وفى مواجهتى كان يجلس « عاصى الرحبانى » ، وجهه يذكرك بأولاد البلد ، يتحدث ويحكى مــن القلب . الالحان تكاد تشكل ملامح وجهه . عيناه ايقاع معبر ســعيد . والى جــواره كان يجلس « منصور الرحبانى » ، قامة عملاقــة ، ووجــه قوى يكاد يشعرك أنك فى حضرة ملاكم صــعب المراس . ولكن رأسه ينحنى قليلا الى الامام كأنما ينصت دائما الى شىء غير مرئى ، فى ملامحــه وتعابيره حسم ، على أنك تحس أن وراء هذا الجسم الفلاذى ، قلبا مستغرقا فى مطاردة الاحلام .

وغمرتنى الالحان • ورحت أتأمل فيروز عندما جلست تنصت معنا الى صوتها • كأن انصاتهـــا صلاة ، وحملتنى الالحان الى بعيد • احسســـت باحساس لايغيب عنى ابدا كلما انصت الى صوت فيروز ، أحسست برغبة فيأن أفعلشيئامعجزا، أن اعبر المغاور والمجاهل ، ان اصنع بطولة ، ان أتخطى ذاتى ، أن أكون انسانا اكبر منانسانيتى المحدودة • وسموت وسموت ، وأحسست باللحن العربى الاصـــيل ينبض به قلب المواطن العربى ، فيرتفع به الى ســماوات انســانية بالغة الرفعـــة والنبالة •

ولم استطع ان اخفى انفعالى بهذا الفن الرفيع ولكن « العاصى » سرعان مانقلنى من هذا الانفعال الى انفعال اخر غير فنى ، قال لى :

ـ ألحان فيروزمحرمة فى الجمهورية العربيـــة المتحدة •

قلت له بحدة : مستحيل •
قال لى : هناك قرار رسمى بذلك •
قلت له : مستحيل •
قال لى : لقد صارحنى بهذا أكثر من صحفى •

قلت له : لا •• ولكنها مواقف فردية من بعض الناس •

قال لى فى حزن : ولكن الاذاعة لاتذيع شيئا من الحان فيروز .

ووجدتنى أقف وسط الغرفة الغارقة فى الالحان، أتكلم بانفعال وأكاد اصرخ . تكلمت وتكلمت وصرخت وصرخت . رفضت ان يكون هناك قرار بمنع أغانى فيروز . رفضت هذا باصرار ، وباحساس كامل بالصدق . أحسست كأننى أدافع بهذا عن الثورة فى بلدى ، عن القيم الجديدة الكبيرة التى تزدهر فى بلدى ، أدافع عن عروبة بلدى ، عن دور بلدى فى توحيد الثقافة العربية كلها ، ان كانت كل هذه الامور فى حاجة الى دفاع .

لم اكن اتستر على قرار باطل ، ولم اكن أخادعهم أو اخادع نفسى عندما رحت ارفض ان يقال بأن هناك قرارا بمنع أغانى فيروز وأغانى الرحبانية من عبور الحدود ، حدود بلدى ، التى تعمل على ازالة الحدود بين انحاء الوطن العربى كله .

واستطردت أقول لهم بنفس الصدق : ان هذه ليست قضيتكم وحدكم ، بل هى قضية الثورة الثقافية عامة فى مجال الموسيقى ، هى قضية سيد درويش ، وسلامة حجازى ، وداوود حسنى ، وزكريا أحمد ، هى قضية الموسيقى التعبيرية عامة .

انها ليست موقفا من فنان لبنانى ، وانمـا هى موقف من نوع معين من الفن العربى لايزال يحتدم حوله الصراع بين القديم والجديد · انكم جـــزء من معركة ثقافية شاملة ·

ثم تذكرت شـــيئا فى غمرة حماسى ، وكدت اتجنب الاشارة اليه ، ولكنى لم استطع ان امنع نفسى من مصارحة « عاصى » · فقلت له : هـــل غنت فيروز فى احد المؤتمرات السياسية المعادية ؟ وصرخ العاصى قائلا : ياصديقى نحن لاصلة لنـا بالسياسة الحزبية ، لا دخل لنا فيها · نحـــــن نغنى للحياة والتقدم والانسان العربى ·

وعدنا ننصت الى صوت فيروز ، كانت تغنى للقدس القديمة · وارتعش كيانى كلــه · كانت تغنى حكاية حقيقية · ذات يوم كانت تزور القدس القديمة ، والتف حولها اللاجئون وأهدوا لهـــا زهرية وقالوا لها : اننا ننتظرك · وعادت فيروز الى بيروت تشارك الاخوين رحبانى أبلغ كلمات ، وأبلغ لحن عن محنة فلسطين ·

تحكى الاغنية قصتها فى القدس القديمة ، قصة الزهرية ، ثم تعرض المأساة فى بســاطة · كان هنـــاك مواطنون طيبون يبنون تحت الشمس ، يبذرون للحياة والمحبة ، ثم ارتفعت اليد السوداء ،

فأغلقت الابواب وشردت الاصحاب ، وتنتهى الاغنية بدعوة الضمائر أن تتحرك ·· أن تعمل ·

وأخفيت دموعى ، وقمت الى موعد اخــر كنت مرتبطا به ، وقلت لفيروز وللاخوين رحبانى :
سنلتقى فى القاهرة بكم وبألحانكم ·

وعندما كان منصور الرحبانى يودعنى همس لى فى الطريق : لعل منع اغانى فــيروز يرجـــع الى الخوف من طغيان اللهجة اللبنانية ··

وابتسمت له قائلا : صدقنى أيها الصـــديق ، لاخوف من طغيان لهجة عربية ، بل محال ان تطغى لهجة من اللهجات ، ستتعانق اللهجات العربيـــة المحلية بعضها ببعض ، وستتقارب وسيخرج منهـا شيء جديد مشــترك هو ثمرة العمل المشـــترك والنضال المشترك ، وسيتحقق ذلك عندما يزول الانقسام القومى ، ويزول الانقســـام الطبقى فى المجتمع العربى الكبير ·

وافترقنــا وفى قلبى حــزن عميــق · ورحت اتساءل : أيمكن أن يكون هناك مثل هــذا القرار حقا · هل يمكن للقاهرة ، قاعدة الثورة العربية ان توصد أبوابها دون هذا الكنز الفنى من كنوز التراث العربى ؟! ·

ومشيت وحدى أحلم بأشياء كثيرة · أحلم أن تغنى فيروز للسد العالى ، أن تغنى للفلاح الجـديد

والعامل الجـديد والتجربة الثـورية الجديدةفى بلدى ، أحلم بالاوبرا الرحبانية على مسارح القاهرة والاسكندرية والمحافظات المختلفة ، أحلم بالاغنيـة اللبنانية تمتزج بالاغنية المصرية فيتفجـر منهـا نبات فنى جديد ، يوحد الوجدان العربى ، ويدعم الثقافة العربية الجديدة ·

كان يجلس معنا فى البيت الرحبانى ، الشاعر السورى اللبنانى على أحمد سعيد أو أدونيس كما يسمى نفسه ·

ومنذ أشهر قليلة قدمت ديوانه الاخير عـلى صفحات المصور « ديوان التحولات فى أقاليم الليل والنهار » · على أنى هذه المرة لن أتحدث عـن شعره ، وانما سأتحدث عنه ·

ذهبت اليه فى بيروت حيث يعمل فى جـريدة « لسان الحال »وماكنت قدالتقيت بهمن قبل··ولو لم يكن قد سمى نفسه أدونيس لسميناه أدونيس، انه ذلك الصـياد الجميل الذى يطارد الابقـار الوحشية فعشقته فينوس ، وأرادت أن تستبقيـه فى احضانها ولكنه فر منها مفضلا صـيد الابقار عليها · وسرعان ماسقط صريعا ، لقد صرعته احدى الابقار · على أن توسـلات فينوس عند الآلهـة استطاعت أن تعيده الى الحياة ، يعود اليها فى زمن

الربيع والصـــيف ثم يغيب عنها بقيـة أشـــهر السنة ٠

رأيت فى أدونيس ، على أحمد سعيد ، هـذا الصياد الجميل ، لعله لايقدر على صـــيد الابقـار الوحشية ، انه صياد فراشـــات ومعان ٠ كيان دقيق رهيف ، وشخصية رفيقة رقيقة ٠ فيه وقار الشيوخ ورصانتهم ، وفيهصفاءالاطفالوبساطتهم٠ وهو مثل أدونيس الاسطورة يقضى نصف حياته فى دنيا الاحياء ونصفها الاخر فى دنياه البعيدة ، نصـــف يومه فى العمل ونصـــفه الاخـــر فى الجبل ٠

ولقد كان شعره يصوره لى فى صورة الانسان المتغرب تماما عن الحياة ، البعيد عن احداثها ، ولكنى فى الحقيقة وجدته متشابكا معها فى عمـل يومى يشارك فىنسيجها بداب واخلاصواحسست بحاجتى أن أعاود قراءة شعره ، ان أعاود معرفة الانسان فيه .

قال لى أنه يرجو أن يزور القاهرة قريبا .

قلت له عامدا : حسنا .. سأنظم لك زيارة للتجارب الجديدة فى بلادنا ، تجارب الزراعـــة والصناعة ، والبناء ؟

وابتسم قائلا : أنا اريد ان التقى بالانسان فى بلدكم .

قلت له : هل تريد ان ترى الانسان مجردا ؟ لا وجود للانسان المجرد .. الا تحب أن تلتقى به خلال عمله ؟

قال لى : لا اريد أن أتفرج على آلات ..

قلت له : عندما ذهبت اخيرا الى السد العالى رحت أبحث فى مجتمع السد العالى عن المعانى الجديدة ، معانى الحب والصداقة والعمل . هذا هو المعنى الحقيقى للتعبير الاجتماعى .. التعبير فى الانسان .. اليس كذلك ؟

وادونيس لايكاد يشعرك فى حديثه بأنه على خلاف معك . يومىء رأسه لك بالموافقة دائما على كل ما تقول . انه لا يرائى ولا يخفى افكاره ، وانما يتلقى رايك فى سماحة ومودة . ولكنك تحس وراء ايماءة رأسه بذهن ينسج لنفسه عوالم خاصة ، لعلها تبرز فى ملاحظة عابرة ، فى تقطيبة جبين ، فى ضحكة صافية ، أو صمت معبر تقرؤه فى ملامح وجهه الطفل .

وكنت اعرف فى حياة ادونيس تجربة فكرية عاصفة والمح فى شعره تعبيرا دراميا . فسألته عن الشعر المسرحى ، الا يحاوله ؟

وقال لى أدونيس انه لا يؤمن بقدرة الشعر على التعبير المسرحى . انه يخشى على المسرح من الشعر ، كما يخشى على الشعر من المسرح .

ان التكثيف الشعرى ، لا يتفق — كما يقول — مع طبيعة الحدث المسرحى ، مع طبيعة الحـــركة المسرحية .

هكذا قال ادونيس ، ولكنه قال لى كذلك أنه كتب مسرحية شعرية منذ سنوات ، وهو يعاود النظر فيها ، والمسرحية فى الحقيقة تحكى موضوعا بالغ الطرافة والعمق . انها تصور جانبا فاجعا من جوانب الحروب الصليبية . تحكى حكاية جيش الاطفال الذى جمع من انحاء أوربا ، وشحن الى بيت المقدس للمشاركة فى الحرب الدائرة بها ، وتصور ما عاناه الاطفـــــال من أهوال ومذلة فى رحلتهم هذه ، وما وصل منهم الى بيت المقدس غير نفر قليل . أما الاغلبية الساحقة فضاعت أبشـــع ضياع فى رحلة الطريق ، هكذا يســاق الاطفـال باسم الحرب المقدسة الى مجزرة غير مقدسة . ورحت اتســـــاءل بينى وبين نفسى عن الرموز الحقيقية لهذه المسرحية ، ولكنى فضلت ان انتظر حتى اقراها ، واتمنى ان تخرج الى الناس قريبا ، رغم ما يراه ادونيس من راى فى المسرح الشعرى .

لقـد سـعدت فى الحقيقـة بلقاء أدونيس ، احسست فيه صديقا عزيزا ، رغم ما بيننا من خلاف فكرى . على انى ادركت قيمة اللقاء الحى فى ازالة الحواجز الفكرية ، والتقريب بين وجهات

النظر ، أو على الاقل في وضع الخلاف الفكرى على أرض من الموضوعية والمودة · ان أدونيس شاعر عربى كبير لعله من أنضج الشعراء المعاصرين . ولقد بدأ ادونيس رحلته الفكرية بالانضمام الى القوميين السوريين ، وانتهت به هذه الرحلة الى حصاد مر ، ودفعت به الى عزلة ميتافيزيقية قاتلة ، على أن أدونيس قد أخذ يخرج من عزلته هذه ، يتخلص من رحلته القديمة ويقترب شيئا فشيئا من الثورة العربية ·

وهو يدافع عن شعره ، ويرفض التفسير بأنه تعبير عن غربة ، عن عزلة عن الحياة والناس ، بل يرى في مغامراته الشعرية الباطنية تعميقا للحياة ، واغناء لتجارب الانسان ·

قلت له : لاشك في هذا · والقضية هي : أى نوع من التعميق وأى نوع من الاغناء . انك تدعو مثلا الى الرحلة الى « أندلس الاعماق » رحلة الى اكتشاف أعماقنا ، واكتشاف قارات ومجاهل في داخلنا ، والرحلة الى الاعماق رحلة حية بغير شك فيها تعميق واغناء للتجربة الانسانية ، على ان المهم ألا تكون على حساب « أندلس الواقع » أندلس الحقيقة الموضوعية ، أندلس العمل والنضال ، اندلس الناس جميعا ، الا تشغلنى رحلة الباطن والاعماق ، عن رحلة الانسان ، بل

صراعه الباسل من اجل تحقيق احلامه وتثبيت مثله العليا .

وتمنيت أن ألتقي بأدونيس في القاهرة وأن أقوم معه برحلة الى أعماق أسوان الحقيقية ، والعمل. فلعله يرى في اسوان وفي السد العالي أن الاعماق الحقيقية للانسان هي فيما يحققه الانسان من أعمال ومنجزات من أجل الناس جميعا .

ان ادونيس مازال شابا يحمل بضع سنين تضاف الى الثلاثين ، رغم ما اضافه الى ديوان الشعر العربي من آثار باقية .. وما أخصب ما سيضيفه ادونيس الى هذا الديوان من شباب متجدد أبدى .

على انى رغم اعجابى الشديد ومحبتى للشاعر ادونيس ، فلا استطيع ان انافس المستعربة السوفييتية ايلينا ستيفانوفا فى اعجابها وحبها لهذا الشاعر .

التقيت بها فى بيروت فى مهرجان عمر فاخورى كانت ترافق الناقد السوفييتى أناتولى بوتشاروف. تتكلم العربية فى طلاقة ويسر ، تغلب عليها اللهجة المصرية ، تعبر عن نفسها فى حرارة وحسم، يكاد حديثها دائما أن يكون معركة . تحرك يديها لتفصل فى الامر ، لتقضى فيه برأى نهائى . ورغم هذا الطابع الحاسم القاطع الحاد لحديثها ، الا

أن افكارها واحكامها بالغة المرونة والموضوعية والتعقل ، انها تصدر عن احســـاس عميق بالحياة ، وخبرة بالانسان ، لا تحس فيها جمودا أو تحجرا ، وهى لا تمـــل الحديث عن اديبين عربيين : أدونيس فى لبنان ويوســـف ادريس فى مصر ، ولا أحد غيرهما .

قلت لها : كيف تجمعـــين فى قلبك بين اديبين أكاد أعتبرهما مختلفين أشد الاختلاف من حيث المدرسة الادبية ، ومن حيث الشخصية .

واجابتنى بحدة : لا .. بل يجمعهما شىء واحد .. انهما يؤمنان بالانسان .

وقلتلها ضاحكا معابثا : اننىالاحظ انك معجبة بشاعر من لبنان وكاتب قصة من مصر ، وينقصك الاعجاب بناقد ؟

وضحكت وهى تقول لى : لا .. اننى اختلف معك ، فأنت تمسك للادباء عصا فى يدك وانت تكتب عنهم .

وكانت ايلينا تتحدث وهى تلوح لى بعصا غير منظورة . لقد ترجمت ايلينا كل أعمال يوســـف ادريس تقريبا الى اللغة الروسية ، وهى مشغولة بتفسير رموز أدبه ، وهى فى الحقيقة مشغولة ، بل مهمومة بأدبنا العربى المعاصر ، وخاصـــة القصة والرواية ، تعـــرف الدقائق والاسرار فى

ثنايا هذا الادب ، وتحسن الحكم عليه ، وتفتح صدرها للتجارب الجديدة فيه .

سألتنى عن رواية جديدة ظهرت فى مصر باسم (الرائحة) للاديب صنع الله ابراهيم .

قلت لها : أن بها محاولة جديدة فى التعبير ، وان غلبت عليها بعض الصور الجنسية المكشوفة.

وصرخت ايلينا فى وجهى ورفعت عصاها غير المرئية : وهل هذا التصوير الجنسى يدينها .. ألا تعرف أن كاتبا يابانيا تقدميا كتب رواية مطولة تكاد تصور بعض التجارب الجنسية تصويرا تفصيليا .

قلت لها : لست ضد التصوير الجنسى فى الادب ولكن المهم ان نحس بضرورته وبمنطقه داخل العمل الادبى ، نجيب محفوظ مثلا .. ان الثلاثية مليئة بالجنس .. عبر عنه تعبيرا رفيعا .

فقالت ايلينا : القضية نسبية ، هل تتصورأن بعض النقاد فى الاتحاد السوفيتى يأخذون على بين القصرين مغالاتها فى الجنس ، قال لى احد النقاد انها جديرة بأن تسمى بين ... لا بين القصرين.

قلت لها : بالفعل مسألة الجنس يختلف تقبلها من مجتمع الى مجتمع ، ومن تراث الى تراث ، فى حياتنا المصرية تعابير جنسية فى النكتة العادية مثلا . ولكننا فى الكتابة لانتبذل ،ولانتجاوز

الحد .. ولا نقبل المصارحة التى تثير الخجل أو القرف .

وكان يشارك معنا فى الحديث ، الناقد أناتولى بوتشاروف .. فقال لى : لعل هذه الرواية الاخيرة برغم طابعها الجنسى تتضمن احتجاجا اجتماعيا .

قلت له : صحيح .. انها ترفض الحياة البورجوازية وتحتج عليها ببعض الصور الجنسية ، والتعابير المبتذلة . ولكن .. لعلها تصور جانبا واحدا من الحياة .

ورحنا نناقش من جديد الدلالة الاجتماعية للادب .

والواقع ان هذا الناقد كان وجها سوفيتيا بالغ الوداعة والبساطة والجدية والصدق . ما أكثر ماتناقشنا ، وما أكثر ماسمعته يناقش أدونيس ، أو يرد على أسئلة بعض أدباء لبنان حول الادب السوفييتى المعاصر ، وما سمعته أبدا يستخدم تعابير محفوظة ، أو صيغا جامدة ، أو كلمات طنانة .. كان حديثه دائما حديثا يشيع انسانية وصفاء وصراحة . كان ينقد بعض جوانب التخلف فى الحياة الادبية والفنية فى الاتحاد السوفيتى .

وكان يتحدث عن الاثار الادبية الجديدة بروح التواضع ويعرض لاسماء كتاب جدد ، ما اشتهروا بعد ، وكان يحرص على ابراز أن الادب الجيد

هو المعبر عن الانسان ، الذى يواجه تجربة الحياة ومعانيها فى صدق وأصالة ، وتحس فى حديثه استيعابا للتراث الانسانى كله . وهو ينهى حديثه دائما بأنه ليس الا مجرد ناقد من الدرجة الثالثة أو الرابعة .

لقد ترك هذا النـــاقد الطيب أعمق الاثر فى نفسى . ولقد سعدنا معا عندما اكتشفنا مصادفة اننا ولدنا فى عام واحد . وقامت بيننا مودة هادئة رصينة . واعتقدت اننى نجحت فى كسب صداقته، على حين فشلت تماما فى كسب اعجاب ايلينـــا ستيفانوفا ، غير اننى فى الحقيقة سعدت بلقــاء ايلينا ستيفانوفا ، هــذه المستعربة السوفيتية ، الموهوبة .

فما اجل الخدمات التى تقدمها لثقافتنا العربية المعاصرة .

هل أواصل تسكعى فى بيروت .

لقد طال الحديث ، وما اكملت الصورة التى أحب رسمها للحياة الادبية والفنية والفكرية فى بيروت .

ما اكثر من احب الحديث عنهم فى بيروت من ادبائها وكتابها ومفكريها ومن ضيوفها كذلك .

ان حديثى ينتهى ، ولكن الحديث عنهم وعن بيروت لا ينتهى أبدا .

المصور : ٢٠ مايو ١٩٦٦

التعميم والسطحية

بعض الأصدقاء يأخذون علي طريقتي في العمل الذى اقوم به . ينتقدون استغراقى فى التفاصيل وانشغالى بها انشغالا يكاد يهدد عنايتى بالقضايا والمشاكل العامة . وانا اعترف للاصدقاء بذلك ، واقرهم فى أن الانشغال الكامل بالتفاصيل يعرض الانسان للانحراف عن رؤية الحـــركة العامــة للاشـــياء والاستبصار الصـــــحيح باتجاه هذه الحركة .

على انى رغم هذا الاعتراف وهذا الاقـــرار حريص على أن استغرق بنفسى فى التفاصيل ، بل أسعى دائما الى معرفتها ومتابعتها وان كنت أحاول ماوسعتنى المحاولة الا أفقد الرؤية الشاملة والنظرة العامة .

فمع ادراكى لقيمة الكلمات الكريمة الناقدة التى يوجهها الى الاصدقاء ، أدرك كذلك عمق الحاجـة الى معرفة التفاصيل ، عمق الضرورة الى تفتيت

العمليات والمشكلات الكبيرة والنظر الى عناصرها وخصائصها الذاتية الدقيقة .
فلقد عشت سنوات طويلة من عمرى تستهلك فكرى التجريدات العامة والتعميمات الشاملة .

كانت صناعتى الكلمة .. التعبير . اكتب عما يجرى داخل نفسى من انطباعات عن العالم الخارجى ، أيا كانت طبيعة هذا العالم الخارجى، كتابا أدبيا ، أو قضية علمية ، أوفكرةفلسفية ، او حدثا سياسيا ، او رؤية اجتماعية .

كنت اعيش — كما يقال — شاهد عصرى ، وشاهد مجتمعى ، أتحدث ، وأكتب عما يدور حولى . وداخل نفسى .
كنت — بغير شك — ومازلت ، وسأظل ابدا، فيما ارجو ، اتخذ موقفا من عصرى ومجتمعى . ولكن حدود موقفى كانت الكلمة ، التعبير ، الرأى المكتوب .

أما الآن ، فلقد اختلف الامر . لم يعد الموقف كلمة تقال ، أو تعبيرا يصاغ . وانما أصبح مسئولية عملية تجرى داخلها عشرات العمليات الفكرية والادارية والمالية التى تمتزج امتزاجا حميما بقيم الكلمة التى تقال ، والتعبير الذى يصاغ .

وما اكثر ما عانيته فى البداية .
مازلت أذكر أول لقاء لى مع أول ميزانية فى مؤسسة التأليف والنشر .
رحت انصت الى الزميل الفاضل الذى راح يعرضها ويحللها لى .

واخذت ابذل جهدا عقليا مضنيا لمتابعته ، وفجأة وجدت نفسى قد استغرقتنى محاولة ساذجة للمقارنة بين ابواب الميزانية الثلاثة ، وفصول المسرحية الثلاثة فى المسرحيات التقليدية. ووجدت بالغرابة وجه شبه بين طبيعة الباب الاول فى الميزانية وطبيعة الباب الاول فى المسرحية الكلاسيكية ، واخذت انتقل الى الباب الثانى والفصل الثانى لابحث كذلك عن أوجه الشبه . ولكنى أمسكت نفسى بصرامة ،وعدت الى الميزانية اتعرف عليها واتعلم منها حتى اتمكن من اتخاذ موقف ازاءها

واقتضانى هذا بضعة أيام من الدراسة التفصيلية الدقيقة ، تبينت فيها أن الصعوبة التى تواجهنى ، ليست صعوبة الفهم ، وانما هى صعوبة العادة الفكرية التى ركنت الى التعميمات واستراحت اليها .

هل كنت استطيع بتعميماتى الفكرية ، مهما

بلغت من السلامة ان اتخذ موقفا من الميزانية . أن اعالج مشكلة فيها . لا . . بغير تفهم تفصيلى دقيق لمختلف مشكلات العمل والعاملين .

ما قصدت ان اتحدث عن نفسى ، وانما اتحدث عن مسئولية المثقف فى عصرنا ، فى بلادنا ، فى كل البلاد النامية المتطلعة الى حل مشكلات التخلف فى مجتمعاتها ، وتحقيق أهدافها القومية والاجتماعية واللحاق بركب الحضارة .

هكذا اصبحت مسئولية المثقف أن يشتبك بمجتمعه اشتباك مسئولية عملية ، اشتباك مشاركة فعالة فى التغيير والدفع والتطوير .
هذا هو موقفه الذى ينبغى أن يكون . لا مجرد كلمة ، او راى . وما اعظم الكلمة والراى فى ذاتهما ان جاءا تعبيرا عن ارادة تقدم أو واقع صدق .

على أن موقف المثقف فى عصرنا لم يعد يقف عند حدود الكلمة او الراى مهما كانت عظمتها .
اذكر انه عندما جاء سارتر الى بلادنا منذ ما يقرب من عامين والقى محاضرة « عن دور المثقفين » وقصر هذا الدور على الموقف الفكرى ان رددت عليه بمقال فى مجلة المصور بعنوان «المثقفون والسلطة» أكدت مسئولية المثقف فى صياغة

مجتمعه وعصره ومعالجة مشكلاته ، والمشاركة فى حلها جسديا وعمليا وفكريا .

لم تعد المواقف الثقافية فكرا او كلمات عامة فحسب ، بل اصبحت اسلحة تشرع بالنضال العملى ، وجهودا تبذل لحل المشكلات ومواجهة العقبات .

لا قيمة لكلمة تقال ان لم يمتد بها طريق ، أو تدور عجلة عمل ، أو تخضر أرض ، أو يعمق وجدان ، أو تتحقق غاية .

والعمل اختبار للكلمات ، وامتحان للمعانى الكبيرة ، ونقد تطبيقى للتعميمات .

ولهذا فعندما اشتبكت تجربتى السابقة التى كانت تطغى عليها التعميمات بمسئوليات العمل المباشر ، احسست فى هذه المسئولية مدرسة لانضاج هذه التعميمات واختبارها .

ولعل استغراقى فى التفاصيل — الذى كان يؤاخذنى عليه الاصدقاء — كان فى البداية رد فعل لاستغراقى السابق فى التعميمات . ولكنه كان محاولة للتعرف على المقومات الداخلية ، والخصائص الخاصة لجانب من جوانب العمل الاجتماعى اريد ان اواجه مشكلاته وان اتخذ منها موقفا عمليا محددا .

لعل التوفيق قد خانني هنا أو هناك ، ولعل خبرتي كانت تنمو ببطء وتثاقل ، لعلي غاليت في العناية ببعض التفاصيل على حساب أمور أهم واهم ٠

على أن القضـية الاساسـية التي تعلمت ، وما زلت أتعلم منها ،هي : أن تفكيك المشكلات العامة، بالفحص التفصيلي لها ، هو السـبيل لحل هـذه المشكلات ٠

على انه قد تكون بعض هذه المشكلات أو كلها متشابكة متداخلة مع مشكلات أخرى ٠

هذا لايغير من جوهر القضية ، بل يؤكـدها ٠ فلنفحص المشكلة في علاقاتها بالمشاكل الاخرى ، فحصا تفصيليا كذلك ، بحثا وراء حل لها جميعا ٠ وهكذا ٠

هذا هو سبيل المثقف في مجتمعنا لاتخاذ موقف في قضايا مجتمعه وعصره ، وانه لن يفقده تعميماته العزيزة ، ولكنه سيترجم هذه التعميمات الى قدرة على عمل ، الى مشاركة حقيقيـة فعالة في البنـاء والتطوير ٠

أذكر انني كثيرا ماكنت أواجه بعض أصدقائي بمشـكلات تعتـرضني ٠ وأسـألهم : ماالرأي ؟ ما السبيل لحل المشـكلة ؟ ما العمـل ؟ في أغلب الاحيان كان الرد كلمات عامة ، صادرة بغير شك

عن اخلاص ، ووعى شامل ، ولكنها غير صادرةعن استبصار دقيق ومعرفة موضوعية بتفاصيل المشكلة ، بخصائصها الذاتية ، بتشابكها مع مشكلات أخرى . ولهذا فهى قد تصلح ديباجة لحل ، أو مدخلا عاما جميلا لحل ، ولكنها لاتقدم الحل نفسه .

ما أسهل أن تصدر حكما عاما أو تقدم حلاعاما لمشكلة وفى كثير من الاحيان نتبين أن هذا الحكم أو الحل العام لايصدر عن فهم للمشكلة . وانما يصدر عن مجرد رغبة نبيلة فى النفس . وجميل بغير شك أن نناضل من أجل تحويل رغباتنا النبيلة

الى واقع متحقق . ولكن هذا لايمكن أن يتم بغير ادراك عملى لتفاصيل هذا الواقع ، لقوانينه الذاتية التى تحكمه ، بغير هذا الادراك تظل الرغبة معلقة ، ستظل قلقا ، أو شوقا ، وقد تتحول الى موقف نقدى سلبى .

والحقيقة أن أفضل أفكارنا العامة وأصحها وأكثرها سلامة ، ماكان تعميما لخبرات عملية تفصيلية . فهذا هو معنى القانون العلمى . انه تعميم لتجارب تفصيلية ثبتت صحتها وليس رأيا مسبقا مفروضا على هذه التجارب . وأرفع النظريات السياسية والاجتماعية هو ماكان حصيلة كذلك لخبرات عملية .

بالغوص فى تجارب البشر ، وعمليات الطبيعة نستطيع أن نحصل على المعرفة بقوانينها العامة ونستطيع بهذا أن نسيطر عليها ، وأن نوجهها التوجيه الذى نريده ٠

بالغوص فى مشكلاتنا ، نستطيع أن نتبين الحلول السليمة لها ، ونستطيع كذلك أن نطبق هذه الحلول نفسها ٠

باختصار ٠٠ لن نستطيع تطوير الحياة حولنا، وحل مشكلاتها ، ومواجهة أعبائها ، بغير الدراسة لتفاصيل هذه المشكلات والتعرف على خصائصها الذاتية ٠

لن نبدأ من فراغ ٠ سنبدأ من تعميم مبدئى ، من فرض كالفروض العلمية ، نختبره ، نجس به الارض والأحداث والمشكلات ثم نعدله ، ونطوره بحسب طبيعة الارض والاحداث والمشكلات ، وبهذا نستطيع أن ندرك وأن نسيطر وأن نغير وأن نتقدم ٠

هذه هى روح العلم التى ينبغى أن تسود بيننا، لاتشغلنا التعميمات الكبيرة عن دراسة التفاصيل، ولا تجرفنا التفاصيل عن رؤية الهدف العام الذى نسعى اليه ٠

لقد شغلنى هذا الحديث الذى طال عما أردت أن أبدأ به حديثى ٠

رسالة من الأديب الشاب عبد البديع عبـد الله يقول لى فى بعـض سطورها « اننا نملك النـوايا الحسنة ، ولكننا لانملك التفـكير الحسن وبالتـالى لانملك التنفيذ الحسن • وسبب ذلك أننا نواجه مشاكلنا بطريقة لم تعد ملائمة للعصر الذى نعيش فيه • وهى طريقة التعميم والسطحية • فالتعميم يعنى أننا نواجه المشكلة كتلة واحـدة دون ادراك كثير لطبيعتها الخاصة التى تميزها عن غـيرها من المشكلات ، وهذا يؤدى الى عدم فهمها فهما كامـلا وبالتالى فاننا نواجهها بحلول سطحية •»

أوافقك تماما أيها الاديب الشاب •• انالتعميم يفضى بنا الى السطحية • ويجعلنا عاجزينعنحل المشكلات •

وأوافقك عـلى الامثلة العديدة التى قـدمتها فى رسالتك القيمة •

ان روح البحث والدراسة التفصـيلية الدقيقة ماتزال تنقصنا ، ولهذا ماتزال تنقصنا القدرة على حل كثير من مشكلاتنا •

الا أنالمناداة ياصديقى بروح الدراسةالتفصيلية ينبغى ألا تفقدنا أبدا حبـل النجاة الذى يربطنـا بأهدافنا وأفكارنا النظرية العامة •

علينا أن نتسلح بالفكرالعملى وبالعلمالتجريبى،

لانكون عمليين بلا فكر ، ولا نكـون تجريبيين بلا علم . وانما نحسن اكتشاف منهــج الموازنة بين النظرة العامة والدراسات التفصيلية الدقيقة .

هذه – مرة أخيرة – هى روح العلم التى ينبغى أن تسود بيننا وأن نتسلح بها فى مواجهة مختلف مشكلاتنا وقضايانا .

الاخبار : ٥ اغسطس ١٩٦٨

الارقام الصماء والحقائق الحية

ماتعودت أبدا فى حياتى أن تكون لى ميزانيــة خاصة ٠

فى طفولتى المبكرة ، كنت أتلقى المليم والمليمين من أبى ، مصروفا يوميا لى ٠٠ وعندما اشتد عودى وأصبحت شابا ، تضــاعف مصروفى الى ملاليــم عشرين ، وعندما أصبحت موظفا ، كان والدى قد مات ، وكنت أعطى راتبى لأمى ٠٠ وفى كل صباح كانت تضــــع فى يدى بضـــــعة قروش مصروفا يوميا لى ٠

وعنــدما تزوجت ، لازمتنى العادة نفســها ٠ لاأملك من راتبى الا مايخصنى من مصروفى ٠٠ لهذا ماشغلت نفسى أبدا بميزانية خاصــة فى بيتى ٠ وهو عيب كبير بغير شك ٠عيبى الذى أعترف به ٠ كنت أخشى دائما معاملة الارقام ، واقتسامها على احتياجات الحياة ٠٠ أترك لغيرى يفعــل هذا بدلا منى ٠٠ ويلزمنى بحدودى ، التى هى مصروفى ٠

فاذا بقى لى من المصروف شىء استمتعت به ، واذا لم يبق شىء رحت أبحث عن مخـــرج . لا أحســـن الحساب أو التدبير أو التخطيط فى شئونى المالية الخاصة .

وظلت هذه حالى ، حتى أحسست بمسئوليتى عن ميزانية ليست ميزانيتى الخاصة ، وانما هى ميزانية شركة أو مؤسسة .

فى اليوم الاول الذى توجهت لأتولى هذه المسئولية قال صديق : ابدأ بالميزانية .. اطلبها .. أدرسها .. ستتعرف منها على كل شىء ، وفى ضـــوئها ستحدد طريقك .

وطلبت الميزانية .. وأخذت أرقبها فى فزع . لم يكن همى الاكبر كيف أتعامل معها فحسب ، بل كان همى الاول هو كيف أتفهمها ؟؟

كان لدى احساس غامض بأن الميزانيات شىء سحرى معقد ، طلســم ملىء بالردهات السرية ، والاقبية المظلمة ، والمتاهات المتشابكة .

على أن الاحساس بالمسئولية والواجب فـرض على أن اتصدى للميزانية ، كضرورة لامناص منها . وتصديت للميزانية لاول مرة فى حياتى .. فى البداية ، رحت أقرأ أحيانا ، أو أنصت أحيانا

أخرى ، الى مصطلحات لها فى نفسى معان مختلفة ·· وللحق ، لم أفهم شيئا ··

وحاولت بروح الحدس الشعرى أن أستخلص من متاهة الارقام والتفاصيل معنى عاما يصنع لى الفهم القاطع وفشلت ··

فجلست اليها ، وعكفت على حل عناصرها عنصرا عنصرا ، وفضح رموزها رمزا رمزا ،أفعل هذا ثم أعيد صياغة هذه العناصر والرموز من جديد على نحو ييسر لى الفهم ويتيح لى السيطرة ويمكننى من التصرف ·

وأخيرا ، تكشف أمامى الطلسم ·· تكشف لى بغير أسرار ، وتكشفت لى حقيقته البسيطة ··انها مهمة معينة نريد تحقيقها بوسائل بشرية وعملية محددة ينبغى توزيعها بالتوازن والحكمة على هذه الوسائل تحريكا وتنشيطا لها واستفادة منها ·· حسن ·· كيف نحقق هذا ؟ ·

الميزانية هى خلاصة الاجابة على هذا السؤال ·· انها اذن أمر هينّ بسيط ·

وأذكر أننى تعلمت بعد ذلك أن أتلقى الميزانيات التى تقدم لى فى صفحات وصفحات وأرقام وأرقام ، ومحاور ومداور شتى ، فلا ألبث أن أحيلها الى

بضعة أسطر محدودة وأرقام محـدودة ونتيجـة محددة ، يسهل تحليلها وتقييمها · وفى لحظات أستطيع أن أوضحها لأى انسان مهما كانت حدود ثقافته ووعيه ··

وبرغم انى حتى الآن ، ماتعودت بعد أن أحفل بميزانيتى الخاصة فانى أدمنت الاهتمام بالميزانيات العامة ·· لاأعرف أهم من الاهتمام بها باعتبارها عصبا لوضع أى خطة عمل ، ولمعرفة الارض التى نتحرك عليها والافق الذى نسعى اليه ·

لم تعد الميزانية فى تصورى شيئا رقميا مجردا، بل أصبحت تجسيدا لسياسة ، وتتويجا لخطـة ومؤشرا لعمل ، ووسيلة لتقييم ·

ومن اهتمامى بالميزانية العامة فى المسئوليات الادارية التى قمت بها ، أخـذ يتسـع الاهتمام بالميزانية العامة للدولة كلها ·

اليست الميزانيـة العامة للدولة هى التجسد الرقمى لسياسة الدولة ، لخطتها ، لملامح اهتماماتها الاساسية ، لايقاع خطواتها نحو المستقبل ·

لم تعد ميزانية الدولة كذلك ، طلسما يمتلىء بالاسرار ، بل أصبحت مؤشرات رقمية تعبر عن حركة الواقع القومى والاجتماعى ·

ولهـذا لم يعد اهتمامى بها جـزءا من اهتمام

مهنى خالص ، بل أحسست به واجبا قوميا واجتماعيا ، ينضجه فى نفسى الاحساس بالمسئولية العامة والسعى الجاد الى المشاركة فيها بالوعى والرأى .

لأوقل هذا لنفسى ، بل اقوله للناس جميعا حتى هؤلاء الذين لايهتمون بميزانيتهم الخاصة **مثلى . لن نقيس جدية معرفتنا بواقعنا ، بحقائق حياتنا ، اذا لم ندرس الميزانية العامة للدولة ، واذا** لم نشارك بدراستها فى المساهمة فى حمل المسئولية القومية والاجتماعية العامة بطريقة **واعية ايجابية ..**

وبهذه المشاركة كذلك نتعلم تنظيم الميزانية **الخاصة لكل فرد منا ، ونعمل جميعا على تنميتها .** حتى اذا كنا من هؤلاء الذين هم على شاكلتى ممن **ليست لهم ميزانية خاصة ، ولا يحسنون التعامل معها .**

الاخبار : ٣٠ يونيه ١٩٦١

كيف تتخذ قرارا ٠٠

كيف يتخذ المرء قرارا ؟٠٠

الحقيقة أن حياة الانسان سلسلة متتابعة من القرارات التى يتخذها لنفسه أو لغيره ٠

والقرار فى حياة الانسان هو معنى حيـاته ، وهو قيمة هذه الحياة ، وهو البناء النفسى والفكرى والاجتماعى لشخصيته ٠

على أن بعض القرارات التى يتخـذها الانسـان، قد تصدر منه دون تدبير سابق ، تصدر تلقائيا٠

وأنك لن تصدر لنفسك قرارا بأن تحب ٠٠فثمة جهاز معقد داخل نفسك يتخذ لك هذا القرار ٠ ولعلك تقاوم هذا القرار فتصدر بهذا قرارا اراديا

عكسيا ، أو لعلك تتبناه فتصدر بارادتك قرارا بأن تتزوج من تحب ٠

وكثير من مواقفنا العملية والعاطفية تصدرها قرارات أجهزة معقدة داخل أنفسنا ، تصـدرها تراكيبنا الفسيرلوجيـة أو عاداتنـا النفسـية والاجتماعية ٠

وهى ردود فعـل آليـة .. لانستخدم فيهـا عقولنا الواعية . ومثل هذه القرارات غير الواعية لاتمثل القيمة الايجابية المتجددة لحياة الانسان . أما القرار الواعى الصادر عن تدبير وتصميم ، المعبر عن مصـلحة انسانية مضيئة فهـو القوة الدافعة فى حضارتنا الانسانية .

والناس جميعا تمارس اتخاذ القرارات فى كل لحظة من حياتها اليومية . بعض هذه القرارات يقتصر على ذواتهم الشخصية ، وبعضها يتسـع ، فيمس ذويهم وعائلاتهم ، وبعضها يتسع ويتسع حتى يمس نظاما فى ادارة مصنع ، أو منهجا فى مدرسة ، أو رزقا لعاملين ، أو مصيرا لمجتمع ، أو موقفا فى أزمة عالمية .

وتختلف القرارات وتتفاوت قيمتها باختلاف الهدف منها ، واختـلاف وعى الانسـان وتفاوت مسئولياته الاجتماعية ، ولكنها برغم هذا الاختلاف والتفاوت تمثل قيمة الانسـان وتعبر عن مـدى فاعليته فى حياة المجتمع والعصر .

وقد نستطيع أن نعـرف الانسـان ، لا بأنه الحيوان الناطق أو بأنه الحيوان العامل ، وانما بأنه الحيوان الذى يتخذ قـرارات صـادرة عن تدبير وتصميم .

فالقرار هو الجسر الانسانى بين العقل والواقع، **بين الفكر والعمل ، بين التأمل والتنفيذ ٠**

ولقد اهتم بهـذه القضية فلاسـفة اليـونان والرومان ٠ كما اهتم بها فلاسفتنا المسلمون ، ثم الفلاسفة المسيحيون من بعـدهم فى العصـور الوسطى ، وعالجوها ضمن معالجتهم لقضية «حرية الارادة » ، «والجبر والاختيار » ٠٠ هل الانسـان مسير أم مخير ٠ ثم اهتم بها الفلاسفة المعاصرون عند معالجتهم لقضية الاختيار الانسانى ،والموقف الانسانى ، والحرية الانسانية ٠ كما عالجها علماء النفس فى باب «تشريح الارادة وتحليل الفعـل الانسانى ٠ »

ولقد كانت هذه الدراسات الفلسفيةوالنفسية ــ ولاتزال ــ تتناول القضـية من زاوية البنـاء الداخلى للانسان ، وتقييمالعمل الانسانى منحيث تحليل مدى حريته ٠

على أن هنـاك دراسـة عصرية جديدة لهـذه القضية ، لا هى بالدراسـة الفلسـفية ولا هى بالدراسة النفسية ، وانما هى دراسة علميةعملية تنفيذية خالصة ، تجمع بين دراسة البناء الداخلى للانسان ودراسة الظروف الموضـوعية الخارجية التى تحيط به ، وتحدد المنهج العلمى الصـحيح

الذى يتيح للانسان اتخاذ القـرارات السليمة ، هذه الدراسة هى جزء من عـلم الادارة ، بل هى جوهر علم الادارة ·

فالادارة – فى الحقيقـة – هى سـلطة اتخـاذ القرارات · وعلم الادارة هو العلم الخاص بهـذه السلطة ، الذى يدرس العوامل ، والأسس التى يقوم عليها القـرار ، والاسـاليب التى تصـدر بمقتضاها · والادارة ليست علما للتنظيم بل هى أساسا علم للعمل ·· علم للسلوك ، علم لحسن اتخاذ قرارات عملية ·

ومنذ سنوات كانت تشغلنى كتب الفلسـفة وعلم النفس التى تهتم بهذه القضية ، أما فى هذه الايام ، فقد أخذت تشدنى كتب الادارة ·أصبحت أجـد فيها متعة كبيرة ، لاتقـل عن متعتى بكتب الفلسفة وعلم النفس ·

ولهذا سعدت بأول مجلة تصدر فى بلادنا عن الادارة · أصدرها فى الشهر الماضى اتحاد جمعيات التنمية الادارية ووجدتنى أتعجل التهام موضوع مهم من موضـوعاتها هو «الاسـلوب العلمى فى اتخاذ القرارات» للدكتور محمد فهمى أحمد ·على أن موضوعات المجلة جميعا حول مختلف شئون الادارة هى مساهمة جادة علمية فى الاجابة عـلى هذا السؤال « كيف نتخذ قرارا » ··؟

وقد لايكون من العسير أن نتخذ قرارا ٠٠ أى قرار ٠ ولكن من العسير حقا ، أن نحقق بقراراتنا خطوات الى الامام ، لنا ، لعملنا ، لمسئولياتنا ، لحياة الناس من حولنا ، في الطريق نحو تحقيق أهدافنا ، فالقرار مسئولية اجتماعية وانسانية خطيرة ٠ حتى لو كان قرارا مقتصرا على ذواتنا الفردية ٠ لان كل ذات فردية هى جزء من نسيج اجتماعى عام ٠ تتأثر به ويتأثر بها ٠

والقرار الصحيح لم يعد مجرد قدرة ذاتية نابعة من كفاءة خاصة سحرية ، بل هو محصلة دراسة علمية وخبرة علمية ، واستيعاب واع ، لعشرات العوامل والاحتمالات والظروف المادية والانسانية ، فى اطار هدف محدد وخطة محددة ٠

والقضية فى الحقيقة لاتتعلق بالادارة وحدها ، فى ارتباطها بمشروعات معينة ، وانما تتعلق بالأداء الاجتماعى كله ، بأسلوب حياتنا الاجتماعية كلها ٠

أن تسود بيننا القدرة على اتخاذ القرار النابع من وعى علمى ، المرتبط بهدف موضوعى محدد ٠

لايصدر عن هوى ، ولايصدر عن نظرة جزئية ، ولايصدر عن مصلحة خاصة ، ولايصدر عن انفعال ، ولا يصدر عن تعجل ٠

القرار هو سبيلنا لتنمية الواقع ، والسيطرة على المستقبل وتحقيق الاهداف ·

وأشرف القـرارات ماصـــدر بارادة الجماعـة ولمصلحتها · وهو أصح القرارات جميعا بالمعنى العلمي كذلك · لانعملية القرارات معنىمنمعانى ديموقراطيتها · وديموقراطيتها معنى من معانى علميتها · وعلميتهـا وديمـوقراطيتها معـا ، هما ضمان أكيد لحسن تنفيذها ·

وعندما نحسن فى مجتمعنا ، اتخـاذ قراراتنا علميا وديموقراطيا ، سنحسن بالضرورةتنفيذها، وسنخطو بهذا خطوات مقدامة فىالطريق الصاعد نحو تحقيق أهدافنا الكبرى ·

الاخبار : ٢ سبتمبر ١٩٦٨

المجد للانسان الافريقى

شد ماخاب فأل شبينجلر !

حذر الحضارة من يقظة افريقيا ٠٠ ؟ ولا منجاة لحضارة اليوم بغير يقظة افريقيا !٠٠

افريقيا اليوم أغنية نضال ٠

طبولها تدق للسلام والمحبة والتقدم ٠

وسهامها تنطلق من أجل الانسان ٠

لم تعد مهربا للادباء والفنانين ، لم تعد رحلة تغرب ، لم تعد أحضانا بدائية ، وشفاها غليظة، وأثداء مدلاة ، وحليبا دافئا للمغتربين المغامرين الضائعين ٠

لم تعد عاهرة متوحشة تلهم الشعر لبودلير وتدوس على أزهار الطيبة ٠

لم تعد أقنعة غموض أو غابات شبق ، أو رقصات استجداء من اله مجهول ٠

افريقيا اليوم أغنية انتصار على الليالى المظلمة، والأقبية المعتمة وسراديب الغدر والحقد والمهانة .

لهؤلاء .. الذين حملوا عروش الطغاة ، وساقوا عربات السادة وانحنوا وامتهنوا ، وفقدوا انسانيتهم ورجولتهم فى أسواق النخاسه وساروا **القرون حفاة ، عراة أتباعا ..**

لهؤلاء .. وبهؤلاء يدق اليوم قلب الحضارة **ماأطولها رحلة سارها الانسان الافريقى ..** وما أقصرها رحلة من القبيلة المحدودة المقلقة الى **الانسانية الشاملة .**

من مستنقعات الخرافة والملاريا الى مناطق انعدام الوزن فى الفضاء السحيق .

من الاستسلام للرق والمهانة الى صناعة الحرية **والكرامة ..**

من أرض المواد الخام والامية الى أرض الاشتراكية العلمية .

من أحراش الظلمة والكآبة الى أنصع أحلام .

ماأطولها رحلة وما أقصرها ، وما أمجدها **كذلك .**

ما أمجد أن يتفتح وجدان الانسان على جديد **باهر .**

ما أمجد أن تصبح افريقيا مشرق شعر جديد ؟

هل نعجب أن تصبح افريقيـــا مشرق شعر جديد ؟!

أليست مشرق انسان جديد ؟

الشعر الذى خنقته صناعة الاستغلال فيأوربا وأمريكا ، تبعثه من جديد صناعة الحياة والحرية فى افريقيا ..

بالمعاناة والمجاهدة والوعى والبهجة ، ترتفعفى أفريقيا قامة الانسان وتتجدد حضارته .

تحية لنضال الشـعوب الافريقية من أجـــل الانسان والحضارة .

تحية لنضال شعوب العالم من أجل الانســان والحضارة فى افريقيا .

المصور : ١٧ يوليو ١٩٦٧

الشعر والتكنيك

فى غمرة الواجبات اليومية والعملية ، يبحث الانسان أحيانا عن ركن قصى ، يجلس اليه ،فى نفسه ، فى بيته ، فى فضاء لا حدود له ، فى كتاب لاينتسب الى تفاصيل ، فى عمل فنى يرتفع بعتبات الواقع والممكن الى آفاق المطلق .

فى هذا الركن القصى ، تتألق النفس بالشعر، قد لاتتألق بكلمات أو نغمات ، وانما تتألق باحساس عميق غامر مبهج ، يخرج بالانسان من حدود العمل المباشر الى رفيف الحلم الانسانى غير المحدود .

وحياتنا اليومية هى حياة الواجب ، حياة الضرورة العملية ، يمليها نظام ، وتنسقها عادات وتشدها احتياجات ملحة . وترقى هذه الحياة وتعظم ، بقدر مايرتبط الواجب والضرورة العملية فيها ، بقيمة أكبر وهدف أسمى .

وما أعظم أن يحقق الانسان فى التفصيلية العملية الصغيرة من حياته وحياة الناس ، قيمة

كبيرة ، وهدفا ساميا ..

بهذا تتحرك أعمال الانسان اليومية على الارض ، في أحضان السماء

الا انه مهما ارتقى هذا اللقاء بين العمل اليومي الصغير ، والهدف الانساني الكبير فسيظل بينهما دائما ظل .. فارق

ومهما بلغ الجهد البشرى اخلاصا وقدرة ، فسيظل جبلا منصوبا صاعدا فوق هاوية الظل الفارق ، بين التحقيق والحلم .

وما أبعد التحقيق دائما عن الحلم .

وسيظل هذا الظل الفارق مصدرا غنيا لمزيد من الجهد ومزيد من الشوق المسرف الى الكمال ، حتى يصبح الظل نفسه متحققا كامل التحقيق .. وهيهات .. هيهات ..

ومن هذا الظل الفارق .. من هذا الشوق المسرف الى الكمال تحتدم المآسي النبيلة ، ويتفجر القلق الخصب ، ويرف الشعر ، وتتحرك الحياة ، وتتألق انسانية الانسان .

ذلك ان انسانية الانسان هي معركته الدائمة من أجل الكمال .

لهذا يظل الشاعر في عصره ، خلاصة قلق ، وعصارة شوق وجوهر جهد خلاق .

ولهذا يصطدم الشاعر دوما بالحياة اليومية .

تعبيرا عنها ، وتطلعا الى كمالها .

ولهذا كذلك يصطدم الشاعر العظيم بالتكتيك، يصطدم بتفاصيل التخطيط اليومي والعمل اليومي . تصطدم رؤيا حلمه الكامل ، بتفاصيل الواقع الذى لم يتكامل .

وقد يكون هذا احتجاجا ، وقد يكون غضبا ، ولكنه على ايه حال دعوة انسانيه الى الكمال .

على انه فى بعض الاحيان ، قد يكون انغلاقا فى رؤيا الحلم دون معايشة لحياة الواقع الصاعد المجاهد ، أو يكون انغلاقا فى رؤيا وهم سقيم .

اما الشاعر الصغير ، فيختنق شعره بتكتيك الحياة اليومية ، معها أو عليها ، ويصبح شعره شعارات موقوته لاتبدع الشعر . ولا تغنى الحياة .

وبين شعر الأوهام السقيمة ، وشعر الشعارات العقيمه لقاء . يلتقيان فى البعد عن جوهر الحياة والانسان .

والشاعر العظيم ليس بالضرورة هو من يكتب الشعر أو يبدع الفن ، إنما هو الانسان العظيم الذى لاتحتجزه تفاصيل الاعمال اليومية ، عن رفيف الاحلام الكبيرة ، ولا يحتجزه رفيف الاحلام الكبيرة عن تفاصيل الاعمال اليومية

ولا تفزعه هاوية الظل الفارق عن التغنى بالجهد الصاعد والمجاهدة معه وفيه .

الشاعر العظيم والانسان العظيم ، هو من يرضى

ولا يرضى ، هو من يحلم ولا يمل العمل ، وهومن يبدع ويتخطى مايبدع الىماهو أبدع منه ·لايرويه نجاح جزئى ، بل يظل على ظمأ مطلق وشـــوق مسرف الى الكمال ·

الانسان العظيم كهذا الشـاعر العظيم الذى اصبح الصباح على قصيدته الرائعـة التى أبدعها فى الليلة البارحة ، فنظر فيها ، وأخذ يرثيها :
يا أشعار الليلة البارحة لم أعد أرى فيك ماكان برتعش فى نفسى ، عزائى ياأشعار الليلة البارحة أن تعود الوقدة اليك فى قلب قارىء مجهـــول ·
عزائى أن تكونى الهاما فى نفسى لاشعار جديدة ·

الانسان العظيم كهذا الشـاعر العظيم ، يبدع التجربة ثم لايقف عندها ، معجبا أو غير معجب، بل يأمل أن تصـلح غذاء وضياء للآخـرين · ثم يواصل طريقه المجاهد نحو كمال أكبر ·

ما أحوج حياتنا الى شعر ، وما أحوج شـعرنا الى حياة · وما أحوجانساننا الى شاعر ، وماأحوج شاعرنا الى انسان ·

وما أحوجنا فى غمرة حياتنا اليومية ، أن نقبع أحيانا فى ركن قصى ، نرتقى فيه بعتبات الواقع والممكن الى آفاق الحلم ، حتى نعود الى الواقع مرة أخرى ، بروح القدرة على صناعة المستحيل ·

الاخبار : ٢٣ يونية ١٩٦٩

البحث عن مانشيت

في مغرب كل يوم ، أجلس مع زملائي في الجريدة نبحث عن مانشيت . في بعض الاحيان تغدق علينا الدنيا بأحداثها الجسام ، فتصوغ لنا دون جهد كبير منا ، المانشيت الاحمر الزاعق الذي يرتفع على رأس الجريدة .

وفي أحيان أخرى تقتر علينا بأحداثها ، فنجلس حيارى نصك المانشيت الزاعق صكا . دون احساس بضرورته .

وأهتف ضجرا : لماذا المانشيت الاحمر الزاعق كل يوم ؟ لماذا لايكون المانشيت بحجم الاحداث . ان كبرت وزعقت كبر وزعق ، وان صغرت وهدأت صغر وهدأ . وان تلاشت تلاشى .

لماذا هذا المانشيت الاحمر الزاعق كل يوم !

ولكنها العادة التي استحكمت في صحافتنا العربية دون صحافة العالم أجمع .

والحقيقة انه ليس مجرد مانشيت زاعق اللون على رأس جرائدنا ، ولكنه كذلك مانشيت زاعق اللون فى حياتنا ، فى عواطفنا ، فى نظرتنا التى نطل بها على الحياة حولنا ٠

انه بقية من بقايا النظرة الانفعالية غير الموضوعية التى تسيطر على سلوكنا الفكرى والاجتماعى والوجدانى ٠

البحث عما هو مثير ، زاعق متوتر ، والاهتمام بما هو مثير زاعق متوتر ٠

ولا شك أن الحياة ينبغى أن تنبض دائما بالاثارة والتوتر ، والا أصبحت رتابة خالية من الحياة نفسها ٠

فلا معنى لحياة لم تتوجها مغامرة اكتشاف ، ولا قيمة لعمل لم ينبض بحرارة الجديد ، ولا طعم لفكرة لم ترتعش بمعاناة الخلق والابداع ٠

على أن المهم أن تكون اثارة صادرة عن أصالة نابعة من اكتشاف جديد ٠ وأن يكون توترا معبرا عن معاناة لابداع حقيقى ٠

بهذا تكون الاثارة ويكون التوتر غذاء صحيا للنفس البشرية ٠

ولكن ماأكثر مانخلط بين الاثارة الاصيلة والاثارة العابرة المكذبة ، بين التوتر الخلاق والتوتر السطحى الخادع ٠

ما أكثر ما نتجنب الأصالة الانسانية بحثا وراء الزعيق الاجوف ، والوهج السطحى العابر .

وحياتنا الانسانية زاخرة بالأحداث الجسام ، ينسجها البسطاء من الناس بعملهم وتفانيهم واخلاصهم وتضحياتهم وهم ينسجون حياتنا اليومية .

ولكن حياتهم لا تصلح للمانشيت الاحمر الزاعق ، لانها لاتثير اهتماما ولاتستفز توترا ، مالم تنقلب بهم سيارة أو ينهدم عليهم منزل أو تقع لهم واقعة زاعقة .

على أن الامر لايقف عند حدود الاهتمام بما يجرى حولنا فحسب وانما يصبح سلوكا كذلك . أن نسلك مسلك الاثارة السطحية العابرة ، بدلا من أن نسلك مسلك العمل والجد والبناء الاصيل الرصين . أن نهرع الى ماهو زاعق مجلجل متوهج مهما كان خبيئه الاجوف ، لأن نعكف على مايصنع الحياة ، ويقيم العمائر ويغذى فينا انتصار الحياة والحق .

نحن جميعا نبحث عن مانشيت أحمر زاعق بحق وأصالة أحيانا ، وبغير حق أو أصالة فى أغلب الاحيان . فى تدافعنا ، فى صراعاتنا . فى اهتمامنا ، فى عاداتنا ، فى سلوكنا وأسلوب حياتنا .

اغلبنا مثل هذه الزوجة التى حدثنا عنها تشيكوف فى احدى قصصه الشهيرة ·

كانت متزوجة من طبيب بسيط · ولكنها كانت تتطلع الى الالتقاء ببطل خارق · فقضت عمرها تبحث عنه · وراحت تبذل نفسها لكل من تتوسم فيه البطولة الخارقة ··· أصحاب المناصب العليا فى الدولة ، أصحاب الاسماء اللامعة فى المجتمع دون جدوى · لم تحصل على البطل الخارق ·

وذات يوم وهى فى زحمة بحثها المرهق ، علمت أن زوجها الطبيب البسيط سقط مريضا ·· كان يعالج طفلا فى مستشفاه من الدفتريا فلم يجد علاجا للطفل ، ولا انقاذا لحياته ، الا أن يمتص سم الدفتريا من حلقه · وتم شفاء الطفل ، وسقط الطبيب مريضا ، ثم مات ·

وقامت قيامة المجتمع تمجيدا لهذا الطبيب البطل · وصعقت الزوجة أسفا وندما ···· لقد قضت كل هذه السنوات تبحث عن بطل ، دون أن تتبين هذا البطل بجوارها فى زوجها الطبيب البسيط ·!

الأبطال حولنا · والمانشيتات الاصيلة فى حياة الناس وأعمالهم وكلنا نتجنب الاصالة ونبحث عن الزعيق العابر فى أكثر الاحيان ·

انها ليست تقليدا صحفيا في جرائدنا . ولكنها عادة فكرية واجتماعية وانفعاليه عامة ما أجدرنا أن نتخلص منها .

ولن نتخلص منها بمجرد الرغبة أو الارادة ، وانما سنتخلص منها بسيادة روح العلم والنظرة الموضوعية فى حياتنا الاجتماعية ، وسيخلصنا منها ، عملنا الجماعى المنظم .

أكتب هذا متعجلا ، لألحق بجلسة المساء مع زملائى فى الجريدة لاشاركهم البحث عن مانشيت أرجو أن تسعفنا به الأحداث !

الاخبار : ٢٩ يوليو ١٩٦٨

الحلم ·· والحقيقة

أخذت أقترب من منطقة اللهيب المنصــهر فى مصنع الزجاج ·· أشاهد على مقربة كيف يتحول هذا اللهيب المنصهر الى شكل زجاجى منتظم ·

ووقفت بين عاملين شابين يلفحنى صهد لايكاد يطاق · فى وجهيهما المجهدين أحسست بملامح الفاقة والمعاناة والجلد والشجاعة .

سألتهما سؤالا عابرا أمهد به للتعارف بيننا·

والتفتا الى التفاتة باســمة سريعة ، دون أن ينقطعا عن مواصلة تشكيل اللهيب المنصهر · ثم أخذنا نتبادل حديثا متقطعايشق طريقه ـ بصعوبة ـ وسط ضجيج العمل ·

فى البداية ، راح الحديث يتعثر حول تفاصيل العمل،وسرعان ما انطلق من جانبهما الى السياسة الى الانتخابات ،الى التنظيم السياسى ، الى العدوان ، الى الاشتراكية ·

وتبينت أنى أقف بين عضـــوين منتخبين من أعضاء لجنة العشرة فى المصنع . وتبينت أنى أقف بين شابين مناضلين من منظمة الشباب ، وتبينت أنى أقف بين ممثلين من ممثلى جيل الثورة الجديد .

وانصهر الحديث بيننا ، وارتفعت حرارته . وراح يتشكل بموضوعاته المتنوعـة فى أدق مشروعات البناء فى بلادنا .

وافترقنا . وسرت فى طريقى ممـزق النفس ، بين قسوة الحياة التى يحياها ويعانيهـا هـذان العاملان الشابان ، وبهجة الوعى الذى يتفجر فى حديثهما ..

وأحسست بثورة بلدى معركة لاتزال محتدمة بين الوعى والتطبيق ، بين الحلم والحقيقـة ، بين المثل الاعلى المنشود والواقـع الاليم الذى مازال متفشيا ..

ولم يكن هذا هو النموذج الوحيد الذى صادفته ويصادفه غيرى فى المدينة أو الريف ..

ففى الازقة والحوارى والكفور ومراكز الانتاج ومجالات العمل المختلفة . تطالعك المشـــكلات الانسانية والاجتماعية والانتاجيـة ، كما تطالعك أجيال جديدة من المناضلين الواعين .

يطالعك المواطن الجديد ، والبناء الجـديد ، كما تطالعك الجراح الاجتماعية فى المواطن وفى البناء .

يطالعك الماضى حاضرا وقائما متحققا ، متحديا ، بشعا • كما يطالعك المستقبل وعيا وعملا ونضالا وجهدا ، يحاول أن يتحقق وأن ينتصر وأن يسود•

وتدرك ادراكا واقعيا معنى مرحلة التحول والانتقال التى تجتازها ثورتنا • وما أقسى مراحل التحول فى حياة الثورات •

وتدرك ادراكا واقعيا ، عبء المسئولية الجسيمة التى ماتزال تجابهنا ••

لقد انتصرت ثورتنا خلال ستة عشر عاما فى العديد من منجزاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية •

حررت أرضنا من الاحتلال البريطانى ،وحررت اقتصادنا من الاحتكار الاستعمارى ، وحررت الملكية فى بلادنا من سيطرة الاقطاع والاحتكار ، وملكت جماهير الشعب العامل وسائل الانتاج الاساسية فى المجتمع ، وفتحت آفاق التحول الاجتماعى والثقافى ،وأخذت تمهد السبيل للانتقال ببلادنا الى الاشتراكية واسهمت اسهاما ايجابيا فى الثورة العربية الشاملة ، وشاركت مشاركة فعالة فى قضايا التحرر والسلام فى العالم أجمع •

وصمدت فى مواجهة عشرات المؤامرات الداخلية والخارجية ••

ولم يكن عدوان ٥ يونيه الا امتدادا لهذه

المؤامرات سعيا وراء ضرب ثورة ٢٣ يوليةوتصفية **منجزاتها التقدمية** .

ثورتنــا مســتمرة .. رغم كل العقبات التى صادفتها ، وبفضل كل الانتصارات التى حققتها **والأعباء التى ماتزال** تواجهها .

واستمرار الثورة يعنى قدرتها على التمســك **بمبادئها وأهدافها** ،**يعنى** قدرتها على قيادةالجماهير **وتنظيمها** والتعبير عن ارادتها ومصالحها ، يعنى قدرتها على اجتيازالعقبات التى تهدد وجودها . يعنى قدرتها على معرفة الواجبات الملحة التى يلقيهــا **الشعب على** عاتقها ، **يعنى** قدرتهــا على التجــدد **بتجدد المشكلات** والحياة من حولها .

ثورتنا مستمرة .. متجددة .. منتصرة لا بما **حققته من** انتصارات فحســب ، بل بوقفتهــا **الصامدة** ، تأهبا لانتصارات جديدة .

ولهذا فعندما نحتفلباستمرار ثورة ٢٣يوليه، لانلتفت الى ماضى الثورة محتفلين **بما حققته** بقدر **مانلتفت بكل** طاقاتنا الواعية المسئولة الى الطريق الطويل الشاق الذى مازال يواجه أقدامناوجهودنا **وارادتنا** .

الاحتــلال الصهيونى مازال **يدنس أرضــنا العربية** . **والتخلف** الاجتماعى مازال يحــد من **انطلاقنا الثورى** .

وكلاهما ميدانان فى معركة واحدة . سننتصر فى معركة تحرير الارض بقدر مانحشد كل طاقاتنا البشرية والمادية ونشحذها عسكريا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وتنظيميا .

والحقيقة أننا نفتقد جو هذه المعركة . نفتقد روح الادراك العميق لفداحة المسئولية الجسيمة التى تواجهنا .

ان الكثيرين من أبناء وطننا لايحسون الثورة الا وعيا سياسيا ، أو أملا عاطفيا .
وان كثيرين ممن يدعون الانتماء الى الثورة ، لايمارسون الثورة فى حياتهم ، الاشعارات طنانة، أو كلمات رنانة .

هناك بغير شك قدرات وطاقات ثورية تتوالد وتنضج وتنتشر بالوعى والنضال فى كل مكان ، تشق طريق التقدم فى بلادنا وتكافح من أجل أن تشيع روح الثورة والتجدد فى كل شىء .

ولكن هناك كذلك عقبات لاحصر لها ماتزال تسد أمامها الطريق .

العناصر الرجعية ، وقوى الثورة المضادة ، وتجار المصالح الانانية الخاصة .
بقايا القوانين واللوائح المتخلفة وأساليب

العمل الجامدة · تخلف التخطيط البشرى والمادى وانعدام التناسق بين المشروعات المختلفة ·

على أنه بالحشد الجماهيرى المنظم ، بتنشيط تنظيمنا السياسى فى تشكيله الديمقراطى الجديد تنشيطا واعيا مخططا ·· نستطيع روح الثورة أن تدب فى كل مشروعاتنا الاجتماعية ، فى كل مجال من مجالات حياتنا · ونستطيع أن نزيل التناقض بين الوعى والتطبيق ، بين الحلم والحقيقة · ونستطيع ان نواجه المعركة الفاصلة بميدانيها العسكرى والاجتماعى مواجهة حاسمة فعالة ،وان نواصل طريق الانتصار الى غير حد ·

اننا لن نستطيعأ ن نديرجهازاأو نضغط على زر فتحل كل مشكلاتنا وتتحقق كل امانينا ، وانما بالعمل السياسى الجماهيرى المنظم الملتزم باهداف العمل الوطنى والاجتماعى نستطيع أن نحقق المعجزات ·

هكذا ينبغى أن يكون احتفالنا باستمرار ثورة ٢٣ يولية وتجددها ·

الاخبار : ٢٢ يولية ١٩٦٨

حركة الطلبة .. تاريخ ومسئولية

الذين يريدون أن يجعلوا من حركة الشباب والطلبة فى بلادناجزءا من حركة الشباب والطلبة فى العالم ، يخطئون فى استقراء التاريخ .

ان حركة الشباب والطلبة في بلادنا لم تنشأ رد فعل لهذه الحركة العالمية ولم تكن امتدادا لها فى مختلف البلاد النامية .

بل أكاد اقول على عكس هذا تماما أن حركة الشباب والطلبة فى العالم ، أو فى البلاد الرأسمالية بوجه خاص ، هى امتداد لحركة الشباب والطلبة فى البلاد النامية ، وان اخذت مسارا مختلفا .

وذلك أن حركة الشباب والطلبة فى بلادنا وفى البلاد النامية عامة ، حركة لها تاريخ عريق يرتبط بنضال هذه البلاد من اجل التحرر والاستقلال والتقدم . انها ليست حركة نبتت فى عام ١٩٦٨ ، وانما هى حركة تمتد الى القرن التاسع

عشر ، مع بداية الحـركات التحـررية فى البلاد المستعمرة .

كان الطلبة وكان الشباب هم طليعة حركـات التحرر فى هذه البلاد .

من الازهر خرجت مظاهرات الاحتجاج والثورة فى بلادنا ضد الاحتلال الفرنسى فى القرن التاسع عشر . ومن الازهر والمدارس الثانوية ، وكليـة الحقوق ، اندفعت مظاهرات ثورة ١٩١٩ .

ومن الازهر والجامعة ومختلف المدارس اندفعت مظاهرات أعوام ٣٠ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥١ .

ومن مظاهرات الطلبة يوم ٢١ فبراير عام ٤٦ ، فى القاهرة وبومباى تحدد الاحتفال العالمى بيوم الطلبة باعتبـاره عيـدا عالميـا للنضـال ضـد الاستعمار .

وكان من الطبيعى أن يكون الطلبة طليعـة للحركة التحررية فى البلاد النامية ، نتيجـة لما تعانيه هـذه البلاد من ضـعف فى تنظيم فئاتها الشعبية الاخرى من عمال وفلاحين .

وبرغم هذا لم تنعزل حركة الطلبـة عن هـذه الفئات الشعبية الاخرى ، بل اشتركت معهـا فى معاركها الوطنية والاجتماعية المختلفة .

خلاصة هذا كله ، أن حركة الطلبة فى بلادنا ، وفى البلاد النامية عامة ، ليست حركة مستحدثة فى عام ١٩٦٨ ، بل هى حركة تاريخية عريقة ارتبطت منذ البداية بالمعركة التحررية ضد الاستعمار والتخلف الاجتماعى ، أما فى البلاد الرأسمالية فلم يكن للطلبة هذا الدور البارز ٠

فقد استطاعت الفئات الرأسمالية العليا فى مراحل نموها الاولى ان تكسب طوائف عديدة من الطلبة الى صفوفها ، بل كان الطلبة وكانت الفئات الصغرى من المجتمع الرأسمالى فريسة سهلة لحركات الفاشية والنازية ٠وكان الصراع فى هذه البلاد الرأسمالية الشديدة النمو ، يحتدم أساسا بين الفئات الرأسمالية والطبقة العاملة ٠

الا انه فى هذه الايام ، تبرز ثورة الطلبة فى هذه المجتمعات الرأسمالية نتيجة لعوامل متعددة، مرتبطة بالازمات الحادة التى أخذت تعانيها هذه المجتمعات ، بعد أن تقلصت مستعمراتها ، واحتدمت متناقضاتها الداخلية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية واصبح الطلبة والشباب عامة فى هذه المجتمعات يعونون أزمة النظام الرأسمالى وأصبحت السلطة فى هذه المجتمعات متخلفة عنهم ، متناقضة معهم ٠

لهذا تندفع ثورة الطلبة بحثا عن نظام اجتماعى جديد بديل .

على ان هذه الثورة تتسلح بالسخط والتمرد والرؤية الغامضة للاصلاح والتقدم ، ولهذا قد تنحرف بعض شعاراتها الى اتجاهات فوضوية مدمرة وأفكار مغامرة لاتفضى الى تغيير ثورى .

اما حركة الطلبة والشباب فى البلاد الاشتراكية فانها تعبر عن تطلع نحو مزيد من الديمقراطية فى النظام الاشتراكى في غير تناقض مع النظام نفسه ، والسلطة القائمة نفسها .

ولا يعنينى هنا أنأتعمق تفاصيل هذه الظاهرة فقد يكون لها مقال آخر . وانما المهم ان ابين ان الثورة الطلابية فى البلاد الرأسمالية أو الاشتراكية حركة مستحدثة نتيجة لظروف اجتماعية وسياسية خاصة فى هذه البلاد ، وهى حركة تمرد واحتجاج على النظم الاستغلالية أو حركة تطوير ديمقراطى للنظم الاشتراكية .

ولهذا لاتشكل حركة عالمية شاملة ، نتخذها بداية لتاريخ حركة الطلاب فيالعالم بغير تمييز أو نتخذهاوسيلة لتفسير حركة الطلاب فى بلادنا وفى البلاد النامية عامة ذات التاريخ النضالى العريق من أجل التحرير والاستقلال والتقدم .

على أن هناك فلسفات ضارة ومحاولات مريبة ، تريد أن تمتطي هذه الثورات الطلابية في العالم أجمع بهدف عزلها عن بقية القوى الاجتماعيـــة الشـــعبية ، المناضـــلة من أجل الديمقراطيـــة والاشتراكية ، بهدف جعلها غايةفي ذاتها ، وقوة اجتماعية متميزة تتطلع الى الســـلطة بمفردها · وأداة — غير مباشرة — لضرب القوى الثورية ·

وهي تسعى في البلاد النامية بوجه خاص الى اســـتغلال حركات الطلبـــة والانحـــراف بها عن قوى التحـــرر والتقدم في مجتمعاتهـــا النامية ، واتخاذها أداة لضرب الجبهات الداخلية وتفكيك الوحدة بين قوى الثورة ·

وهذا ماينبغي أن يتنبه اليه الشباب والطلبة من بلادنا وفي البلاد النامية ·

ان الطلبة والشباب هم طلائع المستقبل ، وقوة بالغة الحيوية من قـــــوى التطور والتجـــــديد والتنوير ·

ومسئولية الطلبة والشباب في البلاد النامية عامة وفيبلادنا خاصة هي مســـــئولية نابعـــة من تاريخهم النضالي العريق · بل لعل مسئوليتهمفي هذه السنوات تتضاعف ·

وانهم مطالبون بأن يشاركوا مشاركة واعيـــة فعالة مع مختلف قوى الشعب العاملة ، في بنـــاء

مجتمعهم ، والتخلص من بقايا التخلف الاقتصادى والاجتماعى ، الذى خلفه الاستعمار فى بلادهم .
وانهم مطالبون بأن يشاركوا فى تعبئة الشعب — لاتفكيك وحدته — ليكون سندا قويا لقواته المسلحة فى معركة المواجهة وتحرير الارض المحتلة .

انهم مطالبون بأن يكونوا على أرفع مستوى من اليقظة السياسية ، والمسئولية الاجتماعية ، لمواجهة الحرب النفسية ، والدعايات المغرضة ، والاشاعات المسمومة ، والمؤامرات المبيتة .

مطالبون بأن يقفوا وبحزم وحسم ضد كل محاولات التضليل والدس والتآمر بين صفوفهم لتفكيك وحدتهم أو لعزلهم عن بقية قوى الشعب العاملة ، أو شغلهم عن احتياجات معركتى التحرير والتحول الاشتراكى .

انهم مطالبون بأن يكونوا جسورا للوحدة والتماسك فى مجتمعنا ، وقلاعا للوعى العلمى المثمر الدؤوب .
هذا هو واجب شبابنا وطلابنا نحو مجتمعهم ، بل هذا هو الدرس التاريخى العظيم الذى يجب تقديمه لشباب العالم وطلابه .

الاخبار : ١٢ ديسمبر ١٩٦٨

الام ·· والطريق

لم تكن مثقفة لاقول : لعلها تصنع من ثقافتها طلاء بلاغيا لحديثها المتوهج · كانت امرأة عادية بسيطة ، وليس لها نصيب من الدنيا غير شقوة التشرد ، وهم الاولاد ·· لم ابصر قدميها ولكني كدت أبصر فيهما بالخيال ، اخاديد المسيرة الطويلة المجهدة ·

فلقد أحسست ببعض هذه الاخاديد في خشونة كفيها القويتين ، وأبصرت ببعض هذه الاخاديد فى غضون وجهها الشامخ ، وفى احزان عيونها الطيبة ·

لم تكن مثقفة لاقول : لعلها تصك الشعارات أو تلوك الكلمات الكبيرة ·
كانت امرأة عادية ·· بسيطة ·

تتحدث بلغة الارض الفلسطينية ، بلهجة فلاحيها وعمالها · ومواطنيها العاديين البسطاء ·
فى غمرة حكايتها البطولية ، التى راحت تحدثنى

عنها فى غير بطولة أو تفاخر ، أخذت ترسـم لى ــ دون أن تدرى ــ صورة عفوية صادقة لبيتها ، لعاداتها ، لجيرانها .. رابطة الاسرة الاصيلة ، رابطة المودة الحلوة مـع الجيران ، قهوتها التى تقدمها لضيوفها ، سـماحتها الصـافية للناس جميعا .

كانت تحكى لى حكاية ابنتها دون ان تدرى أنها تحكى لى كذلك حكاية شعب فلسطين كله .

كدت أنسى حكاية البطولة ، فى غمرة الاستمتاع ببساطة النسيج الانسانى الصادق الذى تحكيه ــ فى غمرة المعاناة لقسوة النسيج الانسانى الخشن الذى تعيشه .

أحسست بفلسطين الام .. فلسطين الشـعب فى والدة المناضلة أمينة دحبور .

ابنتها هناك ، فى زنزانة ، داخل سجن بعيد ، وهى هنا لاتتحدث حديث الام عن ابنتها السجينة، بل حديث الارض الخصبة عن نبتتها الخضراء .

لاحزن فى الحديث اللهم الا حزن المأساة الكبيرة مأساة الارض الضائعة . أما الحديث عن الابنـة الضائعة فى سجن بعيد ،فكان بهجة الاحسـاس بنسمات العودة الى الارض الضائعة .

حدثتنى الام عن مسيرة التشرد منذ ان هجـم التتار الاسرائيليون عام ٤٨ .. رحلة مجهدة ،

لاتثقلها وعثاء الطريق وهمومه ورعبه فحسب ، بل تثقلها عيون الاطفال المتفزعة ، وبطونهم الخاوية.
ثم حدثتني عن أمينة ، الابنة الكبرى ، والنموذج الطيب للوجدان المسئول . تحمل أعباء الاسرة ، وقد وهن السن والتشرد بكاهل الاب . فحملت الاعباء وحدها في تواضع وجدية . ترفض الزواج، وتهب نفسها لمهنتها الشريفة التي تعيش منها : التدريس . ثم تهب حياتها للمهمة الجليلة التي تتأهب للموت في سبيلها : استرداد الارض المحتلة بالعمل الثوري .

كانت تقوم بواجبها نحو أسرتها خير قيام وكانت تقوم بواجبها نحو العمل الثوري خير قيام كذلك .
وهكذا العمل الثوري الصادق .. ليس هربا من مسئوليات الحياة الاجتماعية بل امتداد ثوريا لها .
وفي السركانت تقوم بعملها الثوري .وماكانت الام — في البداية — تعرف شيئا ، وهي التي لايخفى على بصيرتها شيء .
— الى أين ياأمينة ؟ ألا تستريحين قليلا بعد عمل النهار المجهد ؟
— أدرس ياأمي مع جاري عبد المحسن .. حتى أنتهي من رسالتي العلمية .

وكانت رسالتها العلمية فى الحقيقة هى الانخراط فى العمل الثورى والمشاركة فيه ..
لعلها الكذبة الوحيدة التى تفوهت بها لامها . بل كانت صدقا مع العمل الثورى الذى يؤدى فى النهاية الى القضاء على كل الاكاذيب .

وتنتقل مهمتها كمدرسة الى مهنتها كثائرة .. وتقوم بتدريس الثورة للصغار .. تعلمهم كيف يتعاملون ببساطة وجسارة مع السلاح ، مع أجهزة النسف والتفجير .

وأخيرا تعرف الام ، ببصيرتها الصافية ، شأن أمهاتنا الطيبات جميعا . وتخفى ماتعرفه .
وذات يوم قالت أمينة لامها :
— أنا ماضية ياأمى ..
— الى أين ياأمينة ؟

— قد أغيب بعض الوقت ياأمى .
وتمضى أمينة .. وتمضى الاسابيع . ثم يجىء نبأ طائرة اسرائيلية أصابها رصاص المقاومة الفلسطينية فى سويسرا .. فتاة وثلاثة من الشباب .
فى البداية ، لايشير النبأ الى اسم الفتاة ، أو اسماء الشباب . وتسمع الام بالنبأ . وتصرخ : انها ابنتى أمينة .. انها هى ، أنا أعرفها .

وتدخل دارها ، فتلبس أفخر أثوابها ثم تخرج الى الناس تتوهـــج بالفخـــر والاعتزاز وتتلقى التهاني ٠

وذات يوم زارتها صحفية أجنبية ، تحمل في يدها قلما وأوراقا ٠

قالت لها الام : هل انت مقتنعة بعدالة قضيتنا ؟
قالت لها الصحفية : نعم ٠٠ والا ماجئت اليك؟
قالت لها الام : اذن ٠٠ دعى القلم ٠٠ ودعى الاوراق ٠٠ واحملى معناالسلاح ٠

وكادت صـــورة الام الماثلة أمامى تغيب وهى تحكى لى هذه الحكاية ، احتدمت ملامحها بالغضب، وشمخت قامتها بالتوفز ٠

وقلت لها مستعيدا الحديث عن أمينة : ستعود لك أمينة بخير وعافية ٠

قالت لى : المهم ٠٠ أن تعود لنا فلسطين ٠
قلت لها .. قلت للام فيها : وأمينة ٠٠ ؟
قالت في بساطة وصدق : كلهن أمينة ٠ أناذاهبة اليها لأقول لها : فلسطين بخير ٠ شعب فلسطين يذكرها ، يواصل الطريق ٠ سأحدثها عن أختها الصغيرةوجيرانها الصغيرات اللاتى يواصلن التعامل مع السلاح ٠ وسأقول لها : لاتقلقى على فلسطين ٠

وأبصرت في عيون أم امينة ، علم فلسطين الذى أخذ يرتفـع في قلب الارض المحتلـة ، لم تعــد

المقاومة الفلسطينية ألغاما تزرع فى طريق الاحتلال أو مفجرات تتخفى فى صناديقهم ، أو هجمات مفاجئة سريعة متناثرة على دورياتهم ، بل اصبحت كتائب اقتحام . تقتحم المواقع الاسرائيلية وتسيطر عليها ، وترفع فوقها علم فلسطين ·· بضع ساعات محددة ·

نعم ·· لساعات محددة يرتفع علم فلسطين فوق أرضه المحتلة · ولكنه فى هذه الساعات المحددة يتوهج بالوعد الثورى ، بالعودة الثورية لشعب فلسطين ·

وغدا ، سيرتفع علم فلسطين فوق أرض فلسطين لا لبضع ساعات محددة ·· بل لبضعة أيام ثم لسنوات وسنوات من التاريخ المتجدد الذى لايموت ابدا ·· مادام هناك أم على غرار أم امينة وابنة على غرار أمينة ·

أم أمينة هى أرض فلسطين ·· وأمينة هى رمز شعبها المناضل ·· رمز الطريق اليها ··

قلت لأم مينة وهى تغادرنى : صدقينى ·· ستعود أمينة اليك ، وسيعود شعب فلسطين الى ارضه.

وقلت لنفسى بعد أن غادرتنى أم أمينة : ماذا قدمت لها ·· أملا ·· كلمة ·· كلمات ؟ ·· لقد فعلت معها مافعلته الصحفية الاجنبية ، ولكن أم أمينة لم تقل لى ماقالته للصحفية الاجنبية · ولعلها

قصدت أن تقوله لى ضمنا ؟ ... لا .. لست أقلل من قيمة الكلمة ، بل لست أقلل من قيمة جهود كبيرة خارقة يبذلها أبناء أمنا العربية الكبيرة بالكلمة والسلاح .

ولكن .. ماأقل مانفعله نحن أبناء هذه الام بالقياس الى مانستطيع ان نفعله من أجل أن تعود أمينة من زنزانتها فى سجنها البعيد ، ومن أجل أن تتحرر أرضنا العربية من سجنها الاسرائيلى الكبير .

الاخبار : ١٩ مايو ١٩٦٩

أبى من أكلة لحوم البشر

التقت به في الاحراش ، أحراش افريقيا ، فى قرية من قراها النائية ، ماكان يميزه شيء عـــن سكانها البسطاء غير حقيبة صغيرة فى يده يدور بها على الاكواخ .

كان يتقن الحديث بلغتها المتحضرة ، يعـــرف أسرار العلم وأحـــداث العالم . ويتذوق الفــن والحياة .

جلست تنصت الى قصته ، قال لها فى بساطة وتواضع : « أبى كان من أكلـة لحـوم البشر .. أما أنا فصناعتى الطب ، تعلمت الطب فى بلادكم ، وعدت أمارسه بين أبناء قريتى » .

هذه ليست قصة انسانية ، بل هى جوهـــــر قصتنا الانسانية كلها ، ومعنى حضارتنا كلها .

ماأعظم الرحلة بين آكل لحـــوم البشر وطبيب الآلام البشرية .

في افريقيا يتحقق مجد هذه الرحلة الحضارية، أما في أمريكا وجنوب أفريقيا واسرائيل وفيتنام، فتتم الرحلة بطريقة معكوسة ، يتحول أدعياء الحضارة الى اكلة للحوم البشر . يسقطون القنابل على النساء والاطفال ويحولون المدائن والمدارس والحدائق ودور العبادة الى خرائب وأحراش .

الاخبار : ١٩ مايو ١٩٦٩

انسان عربى جديد

كانت الكوكبة الصـــغيرة من الابطال تتأهب للعبور · كنا فى موقع يسمى المغطس ·· وعـــلى الضفة الاخرى من الاردن ، تلوح أريحا ·· تدعونا أن نتقدم ·· لكى نحررها من الاسر ·

على أنى فى الحقيقة كنت زائرا عابرا ، يقضى يوما أو بعض يوم ·· ثم يعود الى المدينة الكبيرة ، الى المكاتب والاحاديث والحوار الرمادى فى عمان ·

فى أعماقى أحسست بخجل أنى مجرد متفرج بين هؤلاء المناضلين ·

من السلط انطلقت مع قائد عملية العبور ·· أبو نعيم ، ذكرنى بصـــديق مناضل شـــهيد ، شهدى عطية ، نفس الملامح ، نفس الاسلوب فى التعامل والحديث · قلت له هذا ولكننى أضـــفت : أتمنى لك عمرا مديدا ·وابتسم · علمت ان رفاقه حملوه بالامس عـــلى نقالة الى المستشـــفى · انه مريض بالقلب · ولكنه اليوم يعود فى حرارة ،

ليقود عملية عبور · كنت على موعد فى المســاء ، مع بعض قادة المقاومة فى عمان · قال لى أبو نعيم : ستعبر معنا ·

قلت له : وموعدى فى عمان ؟ سأذهب معكم حتى لحظة العبور ، ثم أعود لالحق بموعدى ·

وازداد احساسى بالخجل · مجـــرد متفرج · وضاعف من هذا الاحساس ، ان وجودى معهم كان يفرض عليهم الاهتمام بى ، والحوار المتصل معى طوال الرحلة · أحسست ان الحوار معى حـوار معطل للعمل ·

قلت ببساطة : أرجو الايكون فى وجودى معكم مايعطل التأهب والانطلاق ·· وانبرى أحد الذين يتأهبون للعبور قائلا : لاتستطيع انت ، أو أى قوة فى الارض أن تعطلنا عن غايتنا · وابتلعت قسوة التعبير ولكنى احترمته ·

وانطلقنا الى الاغوار . الظلام والصمت الثقيل المشحون بنذر الاخطار · أخطار الطريق ، أشـد أحيانا من اخطار مفاجئات العدو · ما أكثر مـن سقطوا ضحاياه ·· ضـحايا الطـريق المظـلم والاندفاع الرهيب والمنحنيات المفاجئة ·

ونقترب من النهر ، من رؤيا أريحا ، من القدس تتلألأ من بعيد فى الجنوب الغربى ٠

وأسأل نفسى ، فلا أتبين احساسا بالخطر . الموت فى كل لحظة ٠ ولكن الاحساس بالخطر يولد احساسا غريبا باليقظة ٠ ويصبح الموت امكانية عادية ، عليك أن تواجهها ببساطة ، لا أن تخشاها ٠ يصبح الموت شيئا من الاشياء الملتصقة بك ٠ كالبندقية التى فى يدك ، ومنحنى الطريق ، وطريقة الخطو والرؤية فى الظلام ٠ تمنيت أن أبقى أشاهد عملية العبور حتى نهايتها ، وانتظر عودة الابطال ٠ ولكنى أحسست بنداء الموعد فى عمان ٠ موعد الحوار ٠ وقفلت راجعا ورحلة العبور فى مطلعها ٠

طريق العودة الطويل ، السرعة لالحق بموعدى ، أطياف الابطال يخوضون النهر فى حذر ٠ قلبى معهم ٠ أحسست بسخف الرحلة الى عمان ٠ أحسست بسخف أخلاقيات الوعد ٠ أحسست أن الوعد الحقيقى هو امتشاق السلاح ٠ والعبور ٠

ووصلت عمان ممزق النفس ٠ ولم اجد احدا ينتظرنى ٠ احترمت موعدى مع بعض قادة المقاومة ولكنهم لم يحترموه ٠ حرمت نفسى من شرف

مشاركة بطولية من اجلهم،فما احترموا مجردوعد بحوار جاد .

وفي هذه اللحظة ، اتضح أمامي كل شيء · **الفارق الكبير بين هؤلاء الذين يتعاطون الحوار** الذهني الخالص في عمان ، وبين **هؤلاء الذين** يمارسون العمل الثوري في الاغوار ·

حقا ·· ليس كل من يجلس في عمان مجرد نارجيلة تكركر بالحوار المجدب ، وتنفث الابخرة الضائعة . فماأكثر ماالتقيت في عمان برجال ونساء وأطفال ، هم الظهير الفكري والسياسي والثوري لكتائب الصدام المباشر ، وما اكثر ما التقيت في **عمان ، في اربد ، في الاغوار ، وفي جنوب لبنان ،** وفي العرقوب ، وبيت جبيل · بوجوه هي خلاصة نقية لارادة الانسان العربي ، طارق ، أبو نعيم ، **بدرية ، أم أسامه ، اخلاص أبو عرب ، جمال ، محمود الصغير ·· عشرات · بل مئات يمثلون** انسانا عربيا جديدا ، يولد في آتون المعركة .

أكثر المحن التي يواجهونها ، وما أكثر ماتساقط منهم . لانتيجة مواجهة مع العدو الاسرائيلي، وانما **نتيجة شعار زائف أو خطة هجوم غير مدروسة ،** أو مؤامرة دبرتهاقوى التآمر العربي ،ولكنهم برغم **هذا يزدادون وعيا ويقظة وصلابة ·**

فى عمان — وكنت أشارك فى مؤتمر المجلس الفلسطينى • شاهدت على الجدران شعار « كل السلطة للمقاومة »• وقلت فى نفسى :انه بغير شك شعار متعجل ، شعار غير عملى ، بل غير ثورى كذلك ، لانه قد يؤدى الى تناقضات بين الفلسطينيين والاردنيين • وعلمت ان اللجنة المركزية للمقاومة قد رفضته • وبرغم هذا نزل بعض اعضائها من الجبهة الديمقراطية الى الشوارع يكتبون على الجدران • وبسببه سقط قتلى — لم يقتلهم فى الحقيقة رصاص النيران الاردنية فحسب ، بل قتلهم هؤلاء الذين دفعوهم الى رفع هذا الشعار غير الناضج • على انهم على أية حال شهداء المعركة بكل مافيها •

ماأكثر مافى حركة المقاومة الفلسطينية من اخطاء ونواقص • الذين قاموا بخطف الطائرات ، أبطال بغير شك ، ولكن قيادتهم اتخذت تكتيكا غير سليم فى أغلب الاحيان • لست ضد العنف ، ولكن المهم هو التوقيت والاسلوب والهدف .

ذات يوم كان خطف الطائرات ذريعة اتخذته الامبريالية لتغطية تسليحها لاسرائيل ، للتهديد بتدخل عسكرى فى الاردن ، بل كان أرضية تمهيدية لمذبحة الاردن الرهيبة فى أيلول . بين

قادة المقاومة من يرطن بالماركسية ، ولكنها رطانة البورجوازى الصغير المغامر ، لاحديث الثورى الواعى المسئول ، وهكذا رغم أنهم يتهمون كل حركة غيرهم ، وكل قادة غير قيادتهم فى العالم العربى بالبورجوازية الصغيرة ، ويطالبون باسقاطها .

على ان هذه جميعا ظواهر طبيعية فى تخلق حركة ثورية ونضجها .. لن تتخلق وتنضج بالحوار فحسب ، أو بالرطانة ، وانما ستتخلق وتنضج بتراكم الخبرات العلمية ، وتنمية المفاهيم النظرية الصحيحة والتفاعل الخصب بين المفهوم النظرى والخبرة العلمية النامية .

من الخطأ ان نتوقع فى أى عمل ثورى ، نقاوة كاملة ، والا — على حد تعبير لينين — لن نعيش لنشهد الثورة .

ان المقاومة الفلسطينية تضم قيادات ثورية ناضجة . والمقاومة الفلسطينية تفرخ برغم كل شىء انسانا عربيا جديدا ، وتفجر فى الامة العربية كلها روحا جديدا .. هى روح الثورة وروح النضال . طفل فى سن الثالثة عشرة ، التقيت به فى مغارة فى الاردن سألته : كم سنك ؟ .. فقال : ثمانية عشرة ، وضحكت . أدركت انه يخفى حقيقة

سنه حتى لايحرم من المشاركة فى عمليات العبور.
وفى المغامرات المختلفة التقيت بالانسان العربى السودانى ، والعراقى والسورى ، والمصرى ، واللبنانى والفلسطينى . المثقف والعامل والفلاح والتاجر والموظف . احسست بينهم بوحدة النضال العربى ، وأحسست فيهم بحرارة الفكر والنفس ، بدفء الانسان يتألق وعيه ، بجسارته ، بارادة الاستشهاد النبيلة فى سلوكه .

المخيمات تصبح قلاعا ثورية ، بل مصانع أبطال.
ان الخطر يتربص بهم من كل ناحية ، الرجعية

من الخلف ، الصهيونية والامبريالية من الامام ، الانتهازية والمراهقة الفكرية والامبريالية ، والتناقض فى العالم العربى حولهم .

ولكن برغم هذا كله يتخلق ويولد بينهم انسان ثورى جديد يحمل اصالة التراث العربى فى قلبه ويتجرد من كل أوسمة الزينة ومباهج للحياة المتحضرة ، ليشارك فى صنع الحضارة الحقيقية للانسان العربى ، للانسان .

ان حماية المقاومة الفلسطينية وتنميتها ، هى حماية وتنمية للثورة العربية كلها . على أن الحماية والتنمية لاتكون بالمال والسلاح فحسب ، ولا بالتأييد السياسى فحسب ، بل تكون أساسا

بالمشاركة الفعالة ، فى مختلف جبهات النضـــال العربى • ان حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية كانت مظلة حماية للنضال الفلسطينى ، بل كانت كانت دعما فعالا لها • ان وحدة القوى العربيـة وتحركها فى خط نضالى ضدالعدوان والتوسع الاسرائيلى والمساندة الامريكية له • هو الحماية والتنمية الحقيقية للمقاومة الفلسطينية ، وهـــو فى الوقت نفسه حماية وتنميـــة للحـق العربى والثورة العربية ، وهـــو طريق الحياة والتجـــدد والازدهار للامة العربية ، للانسان العربى •

رسالة من بعيد

عندما كنت اقترب من الخامسة عشرة من عمرى كانت خطواتى ماتزال تتحرك في اطار عالم مكانى ضيق ، ماكان يتعدى حدود ازقة تمتد بين مدرسة النحاسين الابتدائية شمالا ومدرسة الحلميـــــة الثانوية جنوبا ٠ وفيما بينهـا كانت تحضننى أزقة الجمالية والباطنية والدرب الاحمر ٠ وقـــد أتجاسر أحيـانا فأخاطر بخطواتى حتى ميــدان باب الخلق ، أو ميدان العتبة الخضراء غربا ، أو حتى جبل الدراسة وقايتباى شرقا ٠٠ أو أبعـد من هذا بقليل فىمختلف الجهات الاربع٠

الا انه فى اطار هذا العالم المكانى الضـــيق ، كانت آفاق المكان داخل نفسى تمتد وتعمق الى غير حـد ٠ ففى كتبخـــانة باب الخلـق ، كنت أقبع الساعات الطوال متدحرجاً بين كتب التهمها دون أن أفهم أغلب مافيها ٠ وفى امتداد شارع حســــن الاكبر ، كنت اجلس جلسة التلميذ الصـــغير بين اساتذة كبار يتحلقون حول كامل كيلانى فى ندوته

الاسبوعية .. بل اليومية احيانا ، وفى بيتى كنت أواصل الغوص فى مكتبة أخى .. مكتبة صغيرة، ولكنها شديدة الخصوبة ، رفيعة الانتقاء . وفى الازهر كنت اقضى الساعات متنقلا بين الحلقات العلمية ، لا أكاد أفهم مايقال ، بقدر ما استشعر روح الجلال والرهبة والجدية .

فى حدود هذا العالم المكانى الضيق ، أخـذ يتعمق احساسى بعراقة المكان ، واصالة الثقافة وجـدية البحث العلمى ، وتفتحت ينابيع نفسى للمعرفة .

الا أن حدود هذا العالم الضيق اصبحت كذلك حدودا نفسية لى فى علاقاتى العلمية مع الحياة .

أصبحت ارتبك بعد ذلك عندما اتعامل مـع الاماكن المتسعة والمسارات البعيدة . اصبحت احس بانبهـار الطفل فى كل رحلـة ، فى كل لقاء مع مكان جديد .

ولايكاد يسعدنى شىء ، مثل العودة دائما الى الىهذه الازقة القديمة الضيقة ، أحسفيها بحقيقتى وأتشمم فيها عطر الاصالة والعراقة .

ولعل هذا هو ماجعلنى اتجـه الى الادب والفن والفلسفة . وجعل حصيلتى من الخبرة العلميـة

للحياة ، حصيلة محدودة ، يغلب عليهـا الانطواء والخجل وحب المعايشة الطويلة الصامتة لنبضات النفس وتأملاتها الباطنية ٠

هكذا كانت حدودى المكانية عندما كنتاقترب من الخامسة عشرة من عمرى ، وهى حدود ماتزال لها فى النفس اثارها العميقة ٠

لماذا أذكر هذا ؟ أنا لا اكتب ذكرياتى ، وانمـا تعود بى الى بعض جوانبها رسالة صغيرة تلقيتها من لندن ٠

رسالة تقترب صاحبتها من الخامسة عشرة من عمرها ٠ انها تقضى اياما سريعة من رحلة سريعة فى لندن ، وتكتب لى من هناك ٠ تحدثنى بانطلاق وحيوية عن رحلتها الاولى الى المكان البعيد ، عن رؤيتها للمكان الجديد ، عن احساسها بالحضارة ٠

لم استشعر فى حديثهـا انبهـارا ٠ ولكنى أستعر تقديرا وفهما ، واستشعرت ــ وهـذا هو الاهم ــ قدرتها على التعامل مع الجديد ٠٠ مـع المكان المتسع البعيد ٠

وعدت بخواطرى الى نفسى ، فى مثل سنها ٠ وتمنيت لو أتيح لى وقتذاك ، مايتاح لهـا الان ٠ ولكنى تمنيت كذلك لو يتـاح لها الان ماأتيح لى وقتذاك ٠

ماأحوجنا أن نتحرك بالقدرة عبر الامكنة البعيدة والتجارب الجديدة . ولكن ما احوجنا كذلك ان تظل جذورنا فى الارض ، عميقة الارتباط ، معطرة بعبيرها العريق الاصيل .

مأساة جيلنا أننا عرفنا انفسنا أكثر مما عرفنا العالم ، فلم تتكامل معرفتنا بأنفسنا . ومأساة الجيل الجديد انه عرف العالم أكثر مما عرف نفسه فلم تتكامل معرفته بالعالم .

هل تعبر رسالة ابنتى الصغيرة عن بداية جيل جديد يبدأ مرحلة جديدة من التكامل بين جيلين ضلا الطريق ! .

تقول لى فى رسالتها : أنا معجبة يأبى بالحضارة من حولى ولكن .. صدقنى أن مصر بقليل من العناية يمكن أن تكون أرفع مستوى .

ثم تأخذنى معها فى سياحتها عبر مظاهر الحضارة ثم لاتلبث ان تقول لى : أكتب لك ويوم ٥ يونيه يطل . من قال انه يوم هزيمة . انه يوم نصر . ألم ننتصر فيه على أخطائنا . ألم نتخلص به من عناصر التخلف والفساد فينا . انه طريقنا نحو مزيد من التقدم .. طريقنا للحضارة الحقيقية والنصر الحقيقى .

هذا صوت جيل جديد ، يدق لنا باب المستقبل

جيل الثورة التى لم تقهر • بل تواصل طريقهـــــا وتتجدد بالجيل الذى صنعته ٠

وعندما تعود صاحبة الرسالة الصـــغيرة من رحلتها فى عالم المكان المتسع البعيد ٠٠ سأحكى لها حكايتى عندما كنت فى مثل سنها وسأصحبها الى عالمى المكانى الضيق ، وأخوض بها أتربة الازقة العتيقة ، وأتلمس معها معالم الاصالة الباقيـــة ، وأقول لها :انك لاتعودين من رحلة يا ابنتى الصغيرة بل تبدئينها ٠٠ أنت وجيل من أمثالك ٠

ما أشد الاعباء ٠٠ ولكن ما أعظم الرسالة !!

الاخبار : ١٦ يونيه ١٩٦٩

جيشان ٠٠ ومهمة واحدة

مع الصباح الباكر ، بدأت القافلة تتحرك ، متجهة الى جبهة القتال ، حاملة بعض قيادات تنظيمنا السياسى ، وكان يوما من أيام العيد ٠٠ بل كان يوم العيد الحقيقى ، هذا اللقاء الحار المرتقب بين قيادات التنظيم وقوات جيشنا على طول الجبهة ٠

وفى الطريق الطويل ، رحت أتذكر أغنية لشاعر قديم عن فرحة لقاء الاديب بالأديب ٠ واخذت أقارن فى الخيال بينها وبين الفرحة المرتقبة فى لقاء المناضلين السياسيين بالمقاتلين العسكريين من أجل ذات الاهداف السياسية ٠

ورحت أتعجل اللقاء والفرحة ٠٠
وبعد مسيرة طويلة ، أخذت القافلة الكبيرة تتوزع بين الوحدات المختلفة ٠٠ ومن بعيد أخذت تطل علينا وجوه شابة تتألق بالحفاوة والثقة والتفاؤل والشموخ ٠

ثم كان اللقاء وكانت بهجته التى لاتوصف ، ولاتقارن ٠

كان المناضلون السياسيون يحملون الى قوات جيشهم الحبيب هدايا رمزية ٠٠ صنعتها لهم آلاف الأيدى المصرية الطيبة ، من النســاء والرجال فى قيادات الاتحاد الاشتراكى وقواعده ٠

على أنهم كانوا يحملون اليهم ماهو أكبر من هذه الهدايا الرمـزية ٠ كانوا يحمـلون اليهـم حب الجماهير ، وثقتهم وتقديرهم العميق لأبطال جيشهم المسلح ، وآمالهم الكبار فى التحرير والنصر ٠

ولم يكن لقاء ، بل كان امتزاجا حيا بين الجنود والضباط والقادة العسكريين ٠٠ وبين القيـادات السياسية ٠

بهجة مشتركة تجمعهم ، وأرض واحدة تحملهم ولغة واحدة تغنى كلماتهم ومشاعرهم ٠

لافارق بين جندى وضابط وقائد ٠٠ لا فارق بين مقاتل فى الجيش المسلح ، ومناضل فى التنظيم السياسى ٠

ونفترش الارض ويدور الحديث ٠٠

يقول قادة التنظيم السياسى لمقاتليهـم : جئنا لنستشعر بكم بهجة العيد ٠ فأنتم عيدنا الحقيقى ونرجو أن يكون عيدنا الاكبر هو عيد التحرير ، والنصر ٠

جئنا باسم التنظيم السياسى . باسم الملايين من المواطنين ، نحمل اليكم ، حبهم وثقتهم . ونؤكد لكم باسمهم : أنتم جيش الشعب العسكرى ، وتنظيمنا السياسى هو جيش الشعب السياسى ، أنتم جيش التحرير وتنظيمنا جيش الوعى والانتاج والعمل واليقظه . وكلاهما يعمل لمهمة واحدة .

جئنا نعاهدكم بأن نكون وراءكم .. وراء خط النار ، جبهة موحدة . نبذل كل جهد وكل تضحية من اجل توفير كل امكانيات النصر ، من أجل مواصله البناء الاشتراكى وحل مشاكل الجماهير .

وترتفع كلمات الجنود والضباط والقادة بالوعى والحرارة والثقة . انهم يلحون على ضرورة دعم الجبهة الداخلية .. يؤكدون اصرارهم على تحرير الارض بالعلم والتدريب والايمان والوعى السياسى الناضج ..

ثم تتألق الملامح المصرية الطيبة الاصيلة . وتتفجر الجلسة بالمرح العذب والفكاهة الحلوة . والأغنية الجميلة ، دون أن نفقد أرض الوقار أو مناخ المعركة الذى يحيط بنا من كل جانب .

وتمتد أوانى الطعام الشهى الغنى . بعد أن امتدت أوانى الكلمات الشهية الغنية .

... ثم سرعان ماينتهى النهار . وتبدأ لحظات

الغروب . وتأخذ القافلة فى الاستعداد لرحلة العودة من أرض الصمود والاصرار والتأهب للمعركه ، الى ارض الانتاج والعمل . وتتلاقى الايدى والاحضان برسائل التحية والمودة والثقة. ثم تتحرك القافله ويرتفع منها نشيد « بلادى .. بلادى » لسيد درويش . وداعا للمقاتلين الابطال فى مواقعهم .. ووديعة بين أيديهم .

ويعود المناضلون السياسيون الى مواقعهم . وقد ازدادت النفوس احساسا بالمسئوليه ، وثقة فى النصر ، واقتدارا عليه .

ماأجمل أن تتكرر هذه اللقاءات ، بل ماأجمل أن تتسع وتعمق . فلا تكون لقاء للشعب بجيشه فى مواقعه الصامدة المتأهبة .. بل يكون كذلك لقاء للجيش مع الشعب فى مواقعه العاملة المنتجة . ماأعظم وحدة الجيش والشعب .. وما أروع لقاء المقاتلين بالمناضلين .. انها بهجة سامية لا تعادلها بهجة .

تحية لجيشنا المسلح على طول جبهة القتال . وتحية لتنظيمنا السياسى . جيش الوعى والعمل والبناء والديموقراطية .

الاخبار : ٢٣ ديسمبر ١٩٦٨

الوحدات الصغيرة ٠٠ والعمل الكبير

باعجاب لا حد له ، نتابع العمليات الفدائية المقدامة التى تقوم بها وحداتنا الخاصة ووحدات منظمة سيناء ٠٠ فى قلب استحكامات العدو فى سيناء ٠٠

وباعجاب لا حد له كذلك ، نتابع العمليات الفدائية المقدامة التى تقوم بها وحدات المقاومة الفلسطينية الباسلة فى الضفة الغربية وفى غزة وفى مرتفعات جولان ٠٠

فبهذه الوحدات الصغيرة النشطة ، تهتز معنويات الغرور فى نفوس الاسرائيليين ، وتهتز أرض الاستقرار تحت أقدام احتلالهم ، وتهتز كذلك استحكامات «الامر الواقع» الذى يريدون فرضه على أمتنا العربية ٠

وأتأمل ــ بينى وبين نفسى ــ هذه الوحدات الصغيرة ، وأتأمل أعمالها الكبيرة ٠ انها ــ بغير شك ــ ليست وحدات صغيرة متناثرة ، لا رابط بينها ولا ضابط ٠٠ تحركها التلقائية الذاتية ٠

بل هي خلايا نشطة مترابطة تنتسب عضـويا الى جسد كبير ..

لكل منها بطولته الخاصة ، لكل منها شجاعته الخاصه ، لكل منهامساره الخاص ، عمليته الخاصة، منهجه الخاص . ولكنها جميعا تنتسب عضويا الى جسد كبير ، قيادة ثورية وتنظيـم ثورى يخطط لها وينسق بينها ..

الا أن المواجهة المباشرة ، تتحقق بهذهالوحدات الصغيرة . انها مواجهات صغيرة تتم هنا وهناك، لتصنع بمجموعها حصيلة متسقة لعمل كبير .

وبغير هذه المواجهـات المبـاشرة الصـغيرة .. لايتحقق العمل الكبير .

هذا درس أولى فى العمل العسكرى .. ولكنه - كما ذكرت - درس لنا كـذلك فى كل عمـل بشرى . لانجاح لخطة الا بنجاحها - فى النهاية - على أرض التطبيق الجزئى الحى ، بل لا خطةناجحة الا باستخلاصها - فى البداية - من أرض التطبيق الجزئى الحى ..

المقدمات الناجحـة ، والنتـائج الناجحة عـلى السواء ، هى ثمار عملية تنضجها دائما الوحدات الصغيرة المتقدمة فى الخطوط الاولى لميدان القتال أو فى القواعد الاخيرة لميدان العمـــل والانتـاج والخدمات والابداع عامة ..

وحدة النضال أو الانتاج أو الخدمة أو الابداع هى الخلية الحية النشطة فى جسد العامل البشرى وعقله وارادته • بغير نشاطها لايكون ثمة جسد ولا يكون ثمة عقل ولا ثمة ارادة •

وباعجاب لا حد له، نتابع العمليات المقدامة التى تقوم بها الوحدات المصرية والوحدات الفلسطينية ، تأكيدا لجسد الصمود العربى وعقله الثورى وارادته الثورية •

وأمضى فى تأملاتى — بينى وبين نفسى — متسائلا: أين هذه الوحدات الصغيرة المقدامة فى كل موقع من مواقع الانتاج والخدمات والعمل السياسى والاجتماعى عامة فى بلادنا•

••• ماأكثر مانفتقر الى تلك الخلايا الثورية النشطة فى جسد حياتنا الاجتماعية •

أليس هذا هو مانعانيه •• التطبيق ! أين التطبيق المقدام الخلاق لمشروعاتنا •• وأين المواجهة الايجابية لمشكلاتنا ؟ هناك بغير شك وحدات مقدامة ، خلايا ثورية نشطة ، فى كثير من مجالات العمل والانتاج والخدمة • هناك بطولات متناثرة ومبادرات جادة هنا وهناك تبنى وتصنع المعجزات ولكن الخط الخلفى لقاعدة العمل الاجتماعى فى بلادنا ، مايزال متخلفا عن الخط الامامى لقاعدة العمل العسكرى •

لماذا ؟ لان قاعدة العمل الاجتماعي في بلادنا لم تنتظم ولم تتحرك ،ولم تنشــــط ، الا بالمبــادرة الفردية في بعض الاحيان ٠ وبالتلقائية في بعض الاحيان الاخرى ٠

هناك اطار عام لانتظــام العمل الاجتمـــاعي وتحريكه وتنشيطه ، هو التنظيــم السـياسى ٠ ولكن قاعدة التنظيم السياسى ،وحداته الاساسية، وحداته القاعدية ، خلايا جسده الحى ، بل جسد المجتمع كله ، لاتنتظم ولا تتحرك ولا تنشط ٠

ولا حياة للعمل الاجتماعي في بلادنا ، ولا عقل له ولا ارادة ، بغير حياة هذه الوحدات الاساسية انها حركة الحياة في شرايين المجتمـــع كله ٠ اذا توقفت أو خفتت ، توقف التطبيق المنتظم الخــلاق لمشروعاتنا ، وخفتت روح الثورة في مجرى حياتنا الاجتماعية ٠

آه ٠٠ لو أصبحت هــذه الوحدات الاساسية في قاعدة المجتمع ، شبيهة بتلك الوحدات المقدامة في الخـــط الامامى منه ٠ تقتحــم مواقع الخلــل واستحكامات التخلف ،وتتصدى لمشكلات التطبيق ومشكلات الجماهير ، وتدفع بطاقات الانتاج وتسد الثغرات ، وتحشد الامكانيات وتخطط للانتصار الاجتماعي الجزئي في مواقعها المختلفة ٠ فمن حصيلة

أعمالها الجزئيـة سـيتحقق العمـــل الاجتمـاعى الكبير ٠

على أن الوحدات الاساسـية قائمة ٠ فلمـاذا لاتعمل ولماذا لاتنشط ؟ ولماذا لم تصبح ـ بحق ـ خلايا ثورية فى قاعدة المجتمع ؟

لعلها ماتزال ترتكب رذيلة انتظار التوجيه من أعلى ! لعلهـا ماتزال ترتكب رذيلة الاجتمـاعات المعزولة المكتبية التى لاتفرخ جديدا ! لعلهاماتزال تمتلىء بمن لايؤمن برسـالتها أو من لايستطيع القيام بها اذا آمن !

الحق ، ان التوجيه العـام فى يدها ، قـرارات المؤتمر العام على الاقل ٠ لاينقصها الا أن تتوقف عن استظهار هذه القرارات ، أو تكرار شعاراتها، وأن تحولها بالوعى والعمل الجماهيرى النشطالى خطة عمل جزئية تتلاءم وموقعها الخاص ٠

وبالعمل الجماهيرى النشط ، لن تجددالوحدات الاساسية مواقع العمل من حـولها فحسب ، بل ستجدد هى كذلك ٠ ستجدد وعيا وخبرةوأعضاء ٠ سيكون العمل الناضـج المثمر الفعال هو معيـار الانتساب اليها ، هو شرف الارتبـاط بها ، هـو قيمتها أمام الجماهير ، ومعنى قيادتها لهم ٠

وأختتم تأملاتى ، لا بينى وبين نفسى ــ هــذه المرة ــ وانما أمام الناس جميعا ٠

مرة أخرى ٠٠ آه لو أصبحت هذه الوحــدات الأساسية فى قاعدة المجتمع وجهــا مشرقا آخــر لتلك الوحدات المقدامة فى الخط الامامى منه ٠

اذن لتغير الكثير ٠ ولتحقق الكثير ٠

وهذه مسئوليتنا جميعا ٠

الاخبار : ٥ مايو ١٩٦٩

نحن والعلوم الانســانية

التكنولوجيا .. التكنولوجيا ..
ماأكثر ماتحدثنا ونتحدث عن التكنولوجيا
وماأكثر مانعمل من أجل الاستفادة بالتكنولوجيا في تطوير حياتنا وتجديدها وبناء مجتمع عصرى جديد .

وهذا أمر صحى ، وضرورى ، وواجب .

على أننا عندما نتحدث عن التكنولوجيا ، عـن المجتمع العصرى ، يكاد حديثنا يقتصر عـلى هـذا الجانب الصناعى من حياتنا . بل عـلى الجانب الآلى فى بناء هياكلنا الانتاجية والادارية عامة .

على أننا كثيرا ماننسى الجانب الانسانى الخاص من المجتمـع المصرى المنشـود . وننسى كـذلك حاجتنا الى تطور هذا الجانب مستعينين كـذلك بالتكنولوجيا ، أو بالمناهج والاساليب العلميـة عامة . مانزال للاسـف نفرق تفرقة آليـة بين الجانب المادى فى بناء حياتنا الاجتماعية ، والجانب

الانسانى فى بناء هذه الحياة • مانزال نجعل لكل جانب منهما وجودا مستقلا متميزا •

انه بناء واحد متكامل متسق بجانبيه الانسانى والمادى • وهما جانبان متفاعلان • التكنولوجيا ليست من اجل الانتاج فحسب وانما من اجل الانتاج والانسان كذلك • ولن يتطور الانتاج بالتكنولوجيا وحدها وانما سيتطور الانتاج بل تتطور التكنولوجيا نفسها بالانسان •

وماأكثر ما اعترفنا بحاجتنا الى بناء الانسان الجديد ، اعادة بناء سلوكه وعاداته وفكره وقيمه وتصوراته وأذواقه ، وماأكثر ما اعترفنا بصعوبة هذا البناء الانسانى الجديد ، ولكننا اولينا عنايتنا بالبناء المادى للمجتمع أكثر من البناء الانسانى لهذا المجتمع ، فكان هذا سببا من أسباب الخلل فى البناء المادى نفسه •

هذه هى القضية التى ينبغى أن نطرحها بجدية وموضوعيه وحسم ، وأن نحسن معالجتها •

منذ أشهر بعيدة تناولت هذا الموضوع فى بضع مقالات عن دراسة العلوم الانسانية فى بلادنا ، تخلف هذه الدراسة عن روح العصر ، واحتياجات المجتمع ، على أنى اعترف أن تناولى لهذا الموضوع كان تناولا فكريا عاما •

ولهذا سعدت بكتاب يصـدر في بلادنا هـذه الايام يتناول هذه القضـية ، تناولا موضـوعيا سديدا • يتسلح بالاحصاءات ويغوص في برامج التعليم ، ويحلل بعض الهياكل الاجتماعية واجهزة البحوث الانسانية ، ويستخلص النتائج العلمية الصحيحة في هذا الموضوع الخطير •

انه كتاب « نحن والعلوم الانسانية » للاستاذ الدكتور مصطفى سويف • لعله أول كتـاب في اللغة العربية يعرض قضايا العلوم الانسانية على هذا المستوى الرفيع من الوعي المسئول والتعمق الجاد •

انه يؤكد منذ بداية الكتاب بكلمات تكاد تكون هتافا عاليـا : العنصر البشرى جـزء هام بين مقومات أى ميدان من ميادين الصناعة أو الزراعة أو التجارة أو الحرب • فالانسان هو الذى يصنع ويزرع ويتاجر ويحارب • ولكى نحرك الانسان بالكفاءة لابد من اللجوء الى العلوم التى تكشف لنا عن قوانين الطبيعة •

ونحن في بلادنا نلجأ الى هذه العلوم • ولكننا نلجأ بطريقة متخلفة للغاية • نلجأ الى نظـريات ومناهج تنتسب الى عصور قديمة وتجارب بالية • لهذا كان هذا الكتاب المسـئول الجـاد ينبع

باخلاص شديد من هزيمة ٥ يونيو . من درس هذه الهزيمه ، من ارادة التغيير والتجدد ، من ضرورة اعادة النظر فى جوانب حياتنا المختلفــة ، حتى لاتتكرر الهزيمـة ، وحتى لاتتوقف مســيرتنا الصاعدة .

والدكتور مصطفى سويف ــ شأن العالم الجاد ــ يبدأ بتحليل معطيــات الواقــع ، ثم يخلص الى النتائج والحلول .

انه يقترح اقامة مركز للتكنولوجيا البشرية ، على أن ينسق اعماله وجهــوده مع مختلف مراكــز البحث العلمى والدراسات الجامعية ، والمرافـق التنفيذية المختلفة .

وهو يقترح تعديل برامج العلوم الانسانية فى الجامعــات والمـدارس ، وتعميقها بالدراســات التجريبية .

انه فى الحقيقة يفتح أمامنا طريقا رائدا لتطوير جانب بالغ الاهمية ، ان لم يكن الجانب الحاســم فى بناء حياتنا الاجتماعية الجديدة .

الاخبار : ٢٣ يونيه ١٩٦٩

صـــلاة النهاية .. والبـــداية

مع نهاية كل عام ، وبدايته ، تزيد على نفسى دائما لحظة ثقيلة من التأمل الحزين .

تغلفنى وحـــدة باردة ، تعـــزلنى ، تغمرنى باحساس غريب بالتعلق فى الفضاء الاجوف ، دون رحلة فضاء . تطوف بى عبر أيامى كلهـــا ، عبر انسانيتى كلها ، أتأملها ، أتحســـس بأنامـــلى غضون وجهها المسن .

ماذا فعلت ، ماذا تفعل ، ماذا ســوف تفعل ؟ لاأشغل النفس بحساب الايام ، وانما أعكف عــلى حساب الاعمال .

مابعد المسافة بين الحلم والواقع ، بين الامل والتحقيق . ويل للنفس من حســـاب النفس فى لحظة النهاية ــ البداية . حيث لانهاية ولا بداية ، حيث يمتزج الغسق بالشفق ، والوراء بالأمام والماضى بالاتى . وحيث تنســـج أشـــعة الندم والرضى والاشفاق والامل والعمل ظلال أفق غامض لم يولد بعد .

وماأقسى نهاية الاشياء ، نهاية الايام والاعمال والاعمار ، عندما لاتكون هذه النهاية كمالا لجهد أو حتى مجرد اكتمال له ، بل تكون مجرد تعلق في الفضاء الاجوف ، مجرد تأمل مجرد ·

ليس المـوت نهاية لحياة عندما يكون اكتمـالا صحيا لعمر زاخر بالجهد المثمر ، أو تحقيقا لعمل مشرف · بل يكون كمالا حيا ، وبداية لحيـــاة أعمق ·

« هذا حسن » ·· هكذا قال كانط الفيلسوف الالمانى العظيم ، وهو يموت متأملا — فى رضى — حياتـــه الفكريـــة التى اكتملت ، وكملت وبدأت للاخرين ·

« لوعشت مرة أخرى لاخذت نفس الطريق » · هكذا قال بيرى واحد من أبطال المقاومة الفرنسية وهو يواجه الموت مرفوع الرأس ، متألق النفس، سعيدا بحياة النصر التى يصنعها بموته ·

وهكذا يتدافع الاف الثوار المناضلين الى عرس الموت دفاعا عن كرامة الحيـــاة ، وحماية أبدية لهـــا ·

على أن النهايات العظيمـــة ، صانعة البدايات العظيمة · قد لا تكون بالموت المكتمل الكامـــل

فحسب ، وانما تكون كذلك بالكلمة الاخيرة فى القصيدة العظيمة ، واللمسة الاخيرة فى اللوحة العظيمة واللحن الاخير فى الاغنيـــة العظيمـة ، والحجر الاخير فى العمل العظيم الباقى ..

بهذا يصبح الاخير أولا ، وتصبح النهاية بداية أبدية التجدد . هذه هى النهايات المجيدة لبدايات أشد مجدا .

أما نهاية العام وبدايته ، فلحظة ضائعة معلقة ليس لها فى حساب الاعمال خط فاصل ، أو شرفة مطلة على أفق صريح . لعل لها حسابها الفاصل فى حياة هذا الفرد أو ذاك ، هذه الامة أو تلك ، ولكنها فى حساب الانســانية كلها ، أفق غامض يمتزج فيه الغسق بالشفق !

فما أكثر الاعمال التى اكتملت ولم تكتمـل ، وما أكثر الامال التى تحققت ولم تتحقق ، وما أكثر لحظات العبور بين الحلم والواقع ، التى تعلقت بغير عبور أخير !

كيف ؟ ..

ـ ألم نزرع القلوب فى بداية العام ، ألم نطر الى القمر فى نهايته ؟ .

ـ نعم .. نعم .

ولكن ملايين القلوب الانسانية ماتزال تشقى بجهادها بحثا عن قطرة ماء تروى بها عطشها الى الانسانية .

والانسان .. مازال يسقط على ارضه الطيبة صريع الفاقة والظلم والمهانة والاستغلال .

وما أكثر البدايات المزدهرة ، التى اغتيلت قبل أوانها بغير نهاية ، وما أكثر النهايات الفاجعة التى لابداية لها .

— على أن انسانيتنا تمضى بالعمل والمجاهدة فى الطريق الصاعد . هناك خطوط فاصلة ، وشرفات مطلة على آفاق صريحة ، وهناك بدايات ونهايات مجيدة ، أليس كذلك ؟

نعم .. نعم .

— فلماذا اذن أنت حزين ؟

— لا أدرى .. ربما لانى أجلس وحيدا أتأمل ، أعزل نفسى بالتأمل المجرد عن بهجة الطريق الصاعد بالعمل ، أو ربما لانى لم أجد لنفسى — بعد — نهايتها التى تتفتح بها على بداية مجيدة ، لم أصنع الكلمة الاخيرة فى قصيدة ، واللمسة الاخيرة فى لوحة ، واللحن الاخير فى أغنية ، والحجر الاخير فى عمل .

اللهم هبنى أن أعرف ، أن أعبر ، أن أعمل ، أن أبدع ، هبنى القدرة على أن أحسن النهاية التى تصنع البدايات للآخرين ، وأن أحسن البداية التى لاتنتهى بنهايتى .

الأخبار : ٣٠ ديسمبر ١٩٦٩

صدر من هــذه السلسلة :

- **ميونيخ كيف ؟** يوسف صبرى
- **صفحات مجهولة من التاريخ المصرى** د . محمد أنيس
- **الحركات السرية فى الاسلام ..** د . محمود اسماعيل
- **مذكرات سعد زغلول** مصطفى النحاس جبر
- **أسرار الماضى** حافظ محمود
- **مشاكل أطفالنا النفسية** د . ملاك جرجس
- **بطولات مصرية (من عمر مكرم الى بيرم التونسى)** نعمان عاشور
- **أحمد شوقى والأدب الحديث ..** د . طه وادى
- **ثأر ابن عنترة** أحمد عباس صالح

كتاب روز اليوسف

العدد الثامن عشر

أغسطس ١٩٧٤

رئيس مجلس الإدارة
عبد الرحمن الشرقاوي

رئيس التحرير
فهمي حسين

المشرف الفني
محمد سليم

الاشتراكات والاعلانات يتفق عليها مع الادارة ٨٩ « أ » شارع قصر العينى تليفون ٢٠٨٨٨ — ٢٠٨٨٧ تلغرافيا روز اليوسف ج ٠ م ٠ ع

رقم الايداع بدار الكتب ٢٠٣٢/١٩٧٤